

الباب الثالث

الحياة الاجتماعية فى عصر  
المرابطين والموحدين

obeikandi.com

## العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية

كان لقيام دولتي المرابطين والموحدين آثار على الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة - موضوع الدراسة - بصفة خاصة، فقد قيض للمرابطين ثم الموحدين من بعدهم أن يلعبوا دوراً هاماً في الحياة السياسية في بلاد الأندلس، فبعد أن قاموا بتوحيد المغرب الأقصى في ظل زعامة موحدة، انطلقوا إلى الأندلس، وتحملوا أعباء الكفاح المسلح ضد أطماع النصارى، وكان هذا بداية صفحة جديدة في العلاقات السياسية بين بلاد المغرب والأندلس، فقد أصبحت البلاد الأندلسية تابعة للمرابطين ثم الموحدين، الأمر الذي نتجت عنه آثار بعيدة المدى في شكل الحياة السياسية<sup>(١)</sup>، أثرت بالتالي على الحياة الاجتماعية للبلاد الأندلسية عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد كان للكفاح المسلح الذي بدأه المرابطون ثم الموحدون أثر على الحياة الاجتماعية في الأندلس، فقد ساعد الكفاح على صهر قبائل المغرب التي تدفقت صوب الأندلس للجهاد، فارتفع قدر المرابطين، بحيث أصبحوا قوة لا يستهان بها ومن ناحية أخرى فإنها أضفت على قائد المرابطين الذي حمل شرف الجهاد في المغرب والأندلس لقب البطولة، أصبح يوسف بن تاشفين يحكم مملكة مترامية الأطراف يصفها ابن أبي زرع بقوله: «وكان يوسف بن تاشفين ملكه من مدينة أفرغة أول بلاد الإفرنج قاصية شرق بلاد الأندلس إلى آخر عمل شنترين والأشبونة على البحر المحيط من بلاد الأندلس وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوماً

(١) ابن أبي زرع: الأئیس المطرب (روض القرطاس) ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، النويري: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٢٦٧، وعن استيلاء المرابطين على غرناطة انظر عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التيان): ص ١٠٧ - ص ١٢٢، النويري: مخطوط: ج ٢٢ ورقة ١٨٣، مجهول: الحلل الموشية: ص ٧١ - ص ٧٣، مجهول: نبذة تاريخية جامعة في أخبار البربر في القرون الوسطى، ألف سنة ١٧٢ هـ، نشرها بروفنسال، الرباط، سنة ١٩٤٣، وعن الأندلس في عصر الموحدين انظر النويري: المصدر السابق: ج ٢٤ ص ٣٠١ - ص ٣٠٩، السلاوي: الاستقصا: ج ٢ ص ١٠٥ - ١٠٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق: ص ١٩١، ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٩٠.

طولا وفى العرض ما يقرب من ذلك، وملك بالمغرب من بلاد العدو من جزائر بن مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان<sup>(١)</sup>.

هذا وقد أدى اتساع الدولة المرابطية ثم الموحدية هذا وبسط نفوذهما على بلاد الأندلس إلى ظهور عوامل جديدة تركت فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس آثارا واضحة مثل الذى تركته على النشاط الاقتصادى والحياة الاقتصادية للبلاد الأندلسية<sup>(٢)</sup>، وذلك أن تدفق الأموال وتنوع موارد الدولة<sup>(٣)</sup>، جعل الأمراء ينفقون فى سعة، وأخذ الولاة يعيشون فى أقاليمهم حياة مترفة لم يتعودوها من قبل فى بلادهم، فيذكر الدكتور حسن محمود أن هؤلاء الأمراء قد اندمجوا فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس<sup>(٤)</sup>، هذه الحياة التى كانت قد بلغت شأنًا عظيمًا من الرقى منذ عهد ملوك الطوائف، فتألت نجم الحضارة الأندلسية بصورة لم تكن معهودة من قبل، فلما فتحت الأندلس، التقت حضارتان أو لوانان من الحياة الاجتماعية، لون أندلسى رفيع، ولون مغربى صحراوى أقل رقيًا وتفوقًا، وكان منطق الأشياء يقضى بأن تغلب الحياة الأكثر رقيًا فتصرح الحياة الأكثر ضعفًا، وهذا هو ما حدث

(١) ابن أبى رزق: الأئیس المطرب ص ١٣٦ - ١٣٧، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٣، انظر: المراكشى: المعجب ص ٢٢٥ - ٢٢٦، عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٧ وما بعدها، النويرى: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٦٧ وما بعدها، انظر الباب الاول ص - ص Scott, History of Moorish Empire Vol 2 p. 197.

(٢) انظر الباب الثانى: ص - ص.

(٣) ابن أبى رزق: الأئیس المطرب: ص ١٢٦، ص ١٢٨، ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية: ص ٢١ - ص ٢٢ «عندما دخل يوسف بن تاشفين غرناطة، أبطل الضرائب والقبالات والخراج والزم أهل غرناطة بزكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع» عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢١٠ عن دخل دولة المرابطين من الجزية، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٥٣، تحقيق إحسان عباس، عن غنائم المرابطين فى غرناطة انظر: عبد الله بن بلقين: المصدر السابق: ص ٢٠٩ - ص ٢١٠، أما عن غنائم الموحدین من المرابطين انظر: مجهول: الحلل الموشية: ص ١٤٣.

(2) Dozy: Histoire des Musul. d'Espagne, Vol. IV, P. 255 - 265.

انظر عن غنائم الموحدین عند استيلائهم عليها من ابن همشك ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٠ وما بعدها.

(٤) انظر مثالا لذلك: قصة أبى سعيد عثمان بن عبد المؤمن والى غرناطة مع ابن جبير صاحب الرحلة، المقرئ: نفع الطيب: ج ٢ ص ٣٨٥.

بالضبط، فقد صارت الحياة الأندلسية الرفيعة هذه الحياة الاجتماعية المغربية فتغلبت عليها وأثرت فيها<sup>(١)</sup>، فكان للوجود المرابطي ثم الموحدى فى البلاد الأندلسية عامة وغرناطة خاصة آثار على الحياة الاجتماعية، فظهرت فى تلك الفترة عدة فئات وعناصر كان للمرابطين ثم الموحدىن الفضل فى إيجادها أو التأثير عليها ومنهم المرابطون ثم الموحدون أنفسهم وهى فئة البربر فزاولوا بعض الأعمال مثل التجارة أو الزراعة أو الصناعة<sup>(٢)</sup>، وقد كانت فئة البربر موجودة فى الأندلس قبل هذه الفترة، ولكن مع الفتح المرابطى ثم الموحدى للبلاد الأندلسية تدقق البربر على الأندلس بأعداد كبيرة<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن بعض رجال هذه الفئة كانوا متغترسين (وهو ما سنوضحه فيما بعد) لا يخضعون لأحكام القضاء<sup>(٤)</sup>، كما أن طائفة الحشم والأتباع كانت تموه على الناس باللثام وربما وقع منها بعض الأذى، مما دعا ابن عبدون فى رسالته إلى أن يطالب «أن لا يلثم إلا صنهاجى أو لمتونى أو لمطى<sup>(٥)</sup>».

ولما فتح الموحدون الأندلس ساروا على سنة أسلافهم، فأسكنوا الموحدىن مدن الأندلس وثغوره، فبدأ عبد المؤمن هذه السياسة<sup>(٦)</sup> واستمر خلفاؤه عليها.

وقد أدى قيام دولتى المرابطين والموحدىن فى الأندلس إلى ظهور طبقة جديدة كان للمرابطين ثم الموحدىن الفضل فى ظهورها، ونعنى بها طبقة الفقهاء والقضاة، ويذكر

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٢٤٠ - ص ٢٤١.

(٢) ابن أبى زرع: الأئیس المطرب، ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ١٩٠ - ص ٢٠٠، ص ٢٢٦، ابن أبى زرع: الأئیس المطرب: ص

١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، عن تدفق الموحدىن صوب الأندلس، المراكشى:

المصدر السابق: ص ٢٨١، ص ٢٨٢، ص ٢٨٣ - ص ٢٩٣ - ص ٢٩٦، السلاوى: الاستقصا:

ج ٢ ص ١٠٥، التويرى: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٣٠٩.

(٤) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية

فى مدريد، المجلد السابع، العدد ١ - ٢، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩، ص ١٧٧ - ص ١٧٨، حسن

أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٣.

(٥) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٩.

(٦) البيدق: أخبار المهدي: ص ١٢٥ - ص ١٢٧، المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

حسن محمود أن الفقهاء والقضاة ورجال الدين موجودون في كل عصر وفي كل زمان<sup>(١)</sup>، ولكن مع ظهور المرابطين ثم الموحدين احتل الفقهاء والعلماء منزلة عالية في المجتمع الأندلسي، فالدولة المرابطية قامت على أساس دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية، من هنا كان المبدأ الديني هو القاعدة الراسخة للدولة، ومن هذا فإن المشتغلين بعلم الدين لا بد وأن يحتلوا مكانة رفيعة في المجتمع وقد زاد هذه المكانة الرفيعة ذلك التقدير والتكريم الذي كانوا يلقونه من أمراء المسلمين «وكان - أي يوسف بن تاشفين - محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقرباً لهم صادراً عن رأيهم متكرماً لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول حياته»<sup>(٢)</sup>.

وعندما انتشرت الدعوة الموحدية وكثر أفرادها قسم المهدي ابن تومرت أصحابه واتباعه إلى طبقات متميزة، وصار في مقدمة الطبقات: العشرة، ويعنى بهم أهل الجماعة، ثم أهل الخمسين ثم أهل السبعين ثم الطلبة ثم الحفاظ وهم صغار الطلبة<sup>(٣)</sup> وتدرج بعد هؤلاء بقية الطبقات حتى إذا تولى الخليفة عبد المؤمن بن علي الخلافة ميز هؤلاء الطلبة وحظوا عنده بالاهتمام والرعاية فصاروا طبقة متميزة.

هذا وقد قسم عبد المؤمن بن علي هؤلاء الطلبة إلى طائفتين، طلبة الموحدين، وطلبة الحضر، والطائفة الأولى، هم طلبة المصامدة، بعد أن سمي المهدي المصامدة بالموحدين، لخوضهم في علم الأصول الذي لم يكن أحد من أهل هذه الأنحاء يخوض فيه<sup>(٤)</sup>.

وصارت طبقة الطلبة تتمتع أيضاً بامتيازات مالية إذ كانت تصرف لهم المرتبات والأعطيات من خزانة الدولة<sup>(٥)</sup>.

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٣ - ص ٤١٤.

(٢) ابن أبي رزع: الأئیس المطرب: ص ١٣٧، المراكشي: المعجب: ص ٢٣٥.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٢٨ «ويذكر ابن خلدون ولما كللت بيعته «أي ابن تومرت» لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام وكان يسمى أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين، انظر ابن خلدون: المقدمة: ص ٢٢٨، عن تقسيم ابن تومرت لطبقات الموحدين، انظر النويري: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٢٨٧، المراكشي: المعجب ص ٢٥٥.

(٤) المراكشي: المصدر السابق: ص ٢٦٩.

(٥) البيهقي: أخبار المهدي: ص ٤٨.

وهناك طبقة أخرى من طبقات المجتمع تأثرت بقيام دولتى المرابطين والموحدين وهم أهل الذمة من النصارى واليهود، ويذكر الدكتور حسن محمود أن النصارى المعاهدين كان قد ارتفع شأنهم فى بلاد الأندلس فى عهد ملوك الطوائف ونبه ذكرهم، وأصبحوا يتمتعون بحرية قلما ظفر بها أجدادهم من قبل.

وذلك بسبب الضعف والتخاذل والانقسام الذى أصاب المجتمع الأندلسى فى ذلك العهد<sup>(١)</sup>، وقد زاد من ذلك ظهور قوة قشتالة وليون فكان هؤلاء النصارى بمثابة عيون لقشتالة وغيرهم من الأعداء<sup>(٢)</sup>.

ولقد حظى اليهود من أهل الذمة بالاهتمام والرعاية من جانب ملوك بنى زيرى فى غرناطة<sup>(٣)</sup>، التى ضمت عدداً كبيراً من اليهود الذين عاشوا فيها حتى أنها سميت بقرناطة اليهود<sup>(٤)</sup>، لكثرة عدد اليهود بها، كذلك كان عدد النصارى كبيراً فى أرياف الأندلس وخاصة غرناطة<sup>(٥)</sup>.

(١) عن ضعف ملوك الطوائف وانقسامهم فى ذلك الوقت انظر عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٧ «طوائف الأندلس، هم زعماء الطوائف الذين اقتسموا ولايات الأندلس وقواعدها عقب انهيار الخلافة وثورة البربر، وأسوا لأنفسهم فى ولايات الأندلس وقواعدها إمارات وممالك صغيرة وقد استعان بعضهم على بعض بنصارى الشمال الذين وجدوا فى ذلك سيقاً مسلطاً على الإسلام وفرصة مواتية للقضاء عليهم، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٤٠ هامش رقم ٣، عبد الله بن بلقين: المصدر السابق: نفس الصفحة، عبد العزيز سالم: المغرب الكبير: ص ٧١٨، مجهول: الحلل الموشية: ص ٤٤ وما بعدها، انظر حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤١٩.

(٢) عن موقف نصارى غرناطة من المرابطين واستدعائهم لابن رزمير انظر ابن عذارى: البيان: ج ١ ص ١٠٩ - ص ١١٤.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢ وما بعدها، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٦٤، محمود على مكى: التشيع فى الأندلس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ ص ١٢٩ - لطفى عبد البديع: الإسلام فى أسبانيا: ص ٣٤، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر ملوك الطوائف ص ١٦٨.

(٤) الحميرى: ص ٢٣، لطفى عبد البديع: المرجع السابق ص ٣٣.

(٥) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢، ص ١٠٨، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٣٦، الحميرى: المصدر السابق: ص ١٤٣ - ص ١٤٤.

ولكن سيطرة المرابطين على الأندلس غيرت أوضاع أهل الذمة سواء من اليهود أو النصارى وهو ما سنوضحه فيما بعد عند الحديث عن أهل الذمة.

هذا ولقد كانت الوحدة بين الأندلس والمغرب من أهم العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية ففي الوقت الذي سيطرت بلاد المغرب في عصر المرابطين والموحدين على البلاد الأندلسية عسكرياً، تمكنت الأندلس من غزو بلاد المغرب فنياً وعلمياً، ويعتبر عصر الموحدين هو العصر الذي توثقت فيه العلاقات الفنية والثقافية والاجتماعية بين بلاد المغرب والأندلس وانتقلت التأثيرات الأندلسية إلى المغرب<sup>(١)</sup>.

ولقد ازداد الأثر الأندلسي في فنون المغرب في عصر المرابطين ثم الموحدين من بعدهم ومن تبعهم من بنى مريم وبنى زيان وبنى حفص، وفي ذلك يقول ابن غالب عند ثنائه على الأندلس وأهلها: «وأهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباء القسيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية، هندیون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم، بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم، يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناب الفواكه وتديبرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضضر وأصناف الزهر فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة» ثم أضاف ابن غالب: ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة المبيدة تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العدو مع بلاد إفريقية، فأما أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحى الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات، وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الأموال والمستعملون في أمور المملكة، وأما أهل الصنائع فإنهم

(١) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامي) ص ٨٣٢.

فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأهملوا أعمالهم وصيروهم أتباعاً لهم ومتصرفين بين أيديهم، ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة وأفرغوا فيه أنواع الحذق والتجريد وما يميلون به النفوس إليهم، ويكفي في الإنصاف أن أقول إن حضرة مراکش هي بغداد المغرب، وهي أعظم ما في بر العدة، وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها إنما ظهرت في مدة بني عبد المؤمن، وكانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم<sup>(١)</sup>.

وإذا تتبعنا الأثر الأندلسي في بلاد المغرب وجدنا أنه بدأ منذ عصر المرابطين ووضح أكثر في عصر الموحدين، فقد أحاط المرابطون والموحدون من بعدهم أنفسهم بعدد من أدباء الأندلس وعلمائه وكتابه<sup>(٢)</sup> وقد عبر المراكشي عن كثرة الكتاب الأندلسيين في بلاط أمير المسلمين على بن يوسف فقال «واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار»<sup>(٣)</sup> ومن هؤلاء الكتاب يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري يكنى أبا بكر ويعرف بابن الصيرفي<sup>(٤)</sup> من أهل غرناطة كان من أعلام العصر المرابطي في البلاغة والأدب والتاريخ وكان من الكتاب المجيدين والشعراء المطبوعين كتب بغرناطة عن الأمير تاشفين بن علي، أيام كان والياً على الأندلس وألّف كتاباً في تاريخ الأندلس أسماه «الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المرابطية» وكتاباً آخر سماه «قصص الأبناء وسياسة الرؤساء» وهما مؤلفان لم يصلنا إلينا ولم يصل إلينا سوى شذور نقلها المتأخرون أمثال ابن الخطيب وغيره<sup>(٥)</sup>.

وكان من هؤلاء الوزراء والكتاب أيضاً، على بن عبد العزيز ابن الإمام الأنصاري، وهو سرقسطي الأصل، سكن غرناطة، وكان من الكتاب المجيدين وأهل البلاغة والفصاحة.

(١) المقرئ: نفع الطيب: ج ١ - ص ١٠٥ - ص ١٥١ - ص ١٥٢ - ص ١٥٣.

(٢) J. F. P. Hopkins: Medieval Muslim, P. 12.

(٣) المراكشي: المعجب: ص ٢٢٧.

(٤) ترجم له ابن سعيد في المغرب ج ٢ ص ١١٨ وابن الخطيب في الإحاطة مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥.

(٥) انظر ترجمة ابن الصيرفي في ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الأسكوريال، لوحة ٤١٥ والإحاطة محقق ج ١ ص ١٠٨ هامش رقم ١.

وزر للأمير أبي طاهر تميم بن يوسف أيام ولايته لغرناطة، ثم كتب من بعده لأخيه الأمير على بن يوسف<sup>(١)</sup>.

هذا وقد أثرت الحياة الأندلسية الرفيعة على حياة البربر الجافية، فقد انغمس البربر من المرابطين ثم الموحيدين وعلى رأسهم الأحرار والسادة في حياة الترف واللهو، يقول المراكشي عن المرابطين في أواخر أيامهم: «واختلت حال أمير المؤمنين رحمه الله بعد الخمسمائة اختلالاً شديداً فظهرت في بلاده مناكر كثيرة وانتهوا في ذلك إلى التصريح، فصار كل منهم يصرح بأنه خير من أمير المسلمين وأحق بالأمر منه»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً «واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر ومأخور، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزيد تغافله، ويقوى ضعفه»<sup>(٣)</sup>.

كانت هذه بعض العوامل التي أثرت في الحياة الاجتماعية ليس فقط في إقليم غرناطة ولكن في كل شبه الجزيرة الأندلسية التي خضعت للمرابطين ثم الموحيدين وسوف تتضح هذه العوامل أكثر من خلال تعرضنا للحياة الاجتماعية في غرناطة.

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: نفس المخطوط، لوحة رقم ٣٣١.

(٢) المراكشي: المعجب: ص ٢٤١.

(٣) المراكشي: المصدر السابق: نفس الصفحة.

## عناصر المجتمع الغرناطي

شهد إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين عدة عناصر مختلفة شكلت هذا المجتمع فأثرت فيه وتأثرت به ومن هذه العناصر: البربر - الأندلسيون - أهل الذمة .

### البربر (١)

وجود البربر في الأندلس طرأ مع الفتح الإسلامي، فمع هذا الفتح تدفقت جموعهم نحو الأندلس واندمجت الموجات الأولى مع العناصر العربية الأندلسية (٢).

وفي العصر الأموي في الأندلس، شارك البربر في تحقيق النصر لعبد الرحمن الداخل على اليمانية، بعرب الأندلس، حين خاطبوا عبد الغفار اليحصبي بوجوب الانضمام لعبد الرحمن الداخل (٣).

وعندما سيطر الأمويون على الأندلس لم يغيروا من وضع البربر الاجتماعي واكتفوا بالسماح لهم بالدخول إلى الأندلس والحياة فيها إلى جانب العناصر الأخرى، ولكن البربر رأوا أن ذلك لا يكفيهم.

فبدءوا يشاركون في الثورة خلال القرن الثالث الهجري، كما فعل الفتح موسى بن ذى

(١) يذكر ابن حزم الأندلسي أن البربر «من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طائفة منهم إلى اليمن إلى حمير وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان» انظر ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦١ تحقيق ليفي بروفنسال، طبعة دار المعارف بمصر.

(٢) حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٣٩٦ «استقر كثير من جند الجيش الغازي ببلاد الأندلس ولم يعد أحد منهم إلى إفريقية بل تزوجوا من نساء أهل البلاد» انظر لطفى عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص ٣٢.

Levi Provencal, L'Esp. M. aux. Sp, P. 20.

(٣) ابن القوطية: (محمد بن عمرو بن عبد العزيز) تاريخ افتتاح الأندلس: تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، سنة ١٩٧٥، ط ربيرا سنة ١٩٦٨ ص ٥٠.

النون سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) (١) حين ثار بقلعة رباح (٢)، وتحصن فيها منادياً بنفسه أميراً عليها.

ويذكر حسين مؤنس أن حياة البربر قد تميزت بالاستقرار والمشاركة في الجهاد الذي غلب على عهد عبد الرحمن الناصر وقد فضلت أقلية منهم السكن في المدن، وحين تغلب عبد الرحمن الناصر على أجزاء المغرب، فتح باب الاتصال بين الأندلس والمغرب فهاجر كثيرون من البربر إلى الأندلس واستقروا في جنوبها (٣) وفي الوسط والشرق (٤).

ولم تلبث قبيلة زناتة البترية أن أقبلت على الدعوة الأموية وأيدت الخليفة عبد الرحمن الناصر، فدخلت قبيلة مغراوة من بني يفرن (افرن) الزناتيين في طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر (٥).

وفي النصف الأخير من القرن الرابع الهجري، بلغ البربر ذروة نفوذهم وأوج سلطانهم عندما رضى عنهم الحكم المستنصر وأمر باستدعائهم فأحسن قبولهم وأجزل عطاءهم وغض الطرف عن مذاهبهم (٦).

(١) ابن حيان: المقتبس، القسم الثالث ص ١٨، مجهول: مدونة من عصر الناصر، ص ٣٣، الحميري: الروض المعطار، ص ١٤، Levi Provencal, Cronica, Anonima،  
(٢) «قلعة رباح قلعة من أعمال جيان وهي بين قرطبة وطليطلة وهي مدينة حسنة ولها حصون حصينة» الحميري: المصدر السابق ص ١٦٣.  
(٣) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٣٨١ «استقرت جماعات كثيرة من البربر في أخصب نواحي الأندلس الجنوبية والشرقية والغربية بل كادت ناحية الجزيرة الخضراء أن تكون قاصرة عليهم، انظر: حسين مؤنس: ثورات البربر في أفريقية والأندلس ص ١٩٤ حولية كلية الآداب عدد مايو سنة ١٩٤٨.

(٤) حسين مؤنس: المرجع السابق - نفس الصفحة.  
(٥) انظر ابن عذارى: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٤٣، وعن سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر تجاه البربر انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ٢١١، ص ٢١٢، البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٧، ابن خلدون: العبر ج ٤ ص ٣٣، ج ٦ ص ١٣٤ - ص ١٣٦، ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ٥٤، ص ٥٥، ص ٥٦، السلاوي: الاستقصا ج ١ ص ٨٢، القلقشندي: صبح الأعشى ج ٥، ص ١٨٤.

(٦) ابن حيان: المقتبس ج ٢ ص ١٩٢، ص ١٩٣ «يذكر ابن حيان أنه اجتمع للخليفة الحكم المستنصر من فرسان البربر ما يقارب السبعمئة فارس حيث وفدت عليه قبائل زناتة ومغراوة من المغرب تعلن طاعتها وانضوائها تحت لوائه» انظر ابن حيان: المقتبس ج ٢ ص ١٧٤، ص ١٧٥، ص ١٩٣، انظر أيضاً ابن خلدون: العبر ج ٤ ص ١٤٦.

وقد حفل عهد المنصور بن أبي عامر<sup>(١)</sup> وابنه عبد الملك<sup>(٢)</sup> بوصول أعداد كثيرة من بربر العدو ومنهم كون ابن أبي عامر بطانة تغلب بها على أقوى المنافسين له من وزراء الدولة الأموية وكون منهم جيشاً تحت إمرته<sup>(٣)</sup>، ولقد ساعد ذلك على قدوم أعداد هائلة من البربر فزاد عددهم زيادة كبيرة، ويشير ابن حزم إلى زيادة عدد بيوتات البربر في عهده<sup>(٤)</sup>.

ويذكر عبد الله عنان أنه بعد انحلال الدولة الأموية وسقوطها إثر الفتنة البربرية التي عمت قرطبة، تكاثرت الهجرة البربرية إلى الأندلس، حيث كان لصنهاجة دور بارز فيها<sup>(٥)</sup>، ففي غرناطة استقر بنو زيري الصنهاجيون فأقام حبوس بن ماكس إمارة فيها وكون لها جيشاً وعقد بينه وبين الأمراء من جيرانه روابط المودة<sup>(٦)</sup>، وحاول التوسع فاستولى على قبرة وجيان، ثم خلفه ابنه باديس فكانت بينه وبين زهير العامري، صاحب المرية حرب قتل فيها زهير<sup>(٧)</sup> في آخر شوال ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م، ثم تطلع إلى ما في يد بني حمود وكانوا قد ضعفوا في مالقة فانتزعها منهم، ونازع ابن عباد من أجل الفوز بتلك المدينة، فكان له النصر عليه<sup>(٨)</sup>، وقد طال حكم باديس وعهد بشنون الدولة إلى وزيره اليهودي ابن النغيلة،

- (١) ابن الخطيب - المصدر السابق ص ٦٣.
- (٢) ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٨٧.
- (٣) ابن عذارى: البيان السابق ج ٢ ص ٢٧٨، ص ٢٧٩، ابن خلدون: العبر ج ٤ ص ١٤٧، بلغ عدد البربر في إحدى فرق الجيش ثلاثة آلاف فارس.
- (٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٨ - ص ٥٠٢.
- (٥) انظر عنهم عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر ملوك الطوائف ص ٤٤ وما بعدها، ص ١١٨ وما بعدها، إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي ص ١٣.
- (٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام قسم ٣ ص ٦٨، اللمحة البديرة في أخبار الدولة النصرية، ص ٣١ راجع أخبار حبوس بن مانحسن في التبيان ص ٢٥، ص ٢٦، ابن عذارى: البيان ج ٣ ص ٢٦٤.
- (٧) ابن بسام: الذخيرة: القسم الأول المجلد الثاني ص ١٦٦ - ص ١٦٩ ابن عذارى: المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٩ - ص ١٧٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٢٧٤ - ص ٢٧٥.
- (٨) عن الصراع بين باديس وبني عباد انظر ابن عذارى: البيان ج ٣ ص ١٩٩ - ٢٧٤، ٢٧٥، ابن خلدون ج ٦ ص ١٨٠، المراكشي: المعجب ص ١٢١ ابن بسام: الذخيرة قسم ٤ مجلد ١، ابن عذارى: ج ٣ ص ٢٧٤، ص ٢٧٥ عبد الله بن بلقين: التبيان، ص ٣٤، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م - ص ٣٣٧.

وزاد نفوذ النساء فى القصر<sup>(١)</sup>، ولما توفى باديس خلفه حفيده عبد الله بن بلقين، وتجددت المنافسة بينه وبين ابن عباد إلى أن سقطت طليطلة فى يد ألفونسو السادس ملك قشتالة<sup>(٢)</sup> واتفق الأمراء فى الأندلس على الاستعانة بالمرابطين، وكان المرابطون هم الذين قضوا على عبد الله بن بلقين<sup>(٣)</sup>.

ومنذ ذلك الحين تدفق البربر على غرناطة، ويعمل حسين مؤنس ذلك بأنها أقرب إلى بر العدو<sup>(٤)</sup> من ناحية ولأن معظم أهلها من بربر أفريقية من ناحية أخرى، هذا وقد بلغ دور صنهاجة ذروته مع الفتح الرابطة<sup>(٥)</sup> فأنزلوا قبائلهم فى الثغور<sup>(٦)</sup> والمدن ومما يدل على كثرة البربر فى غرناطة ما ذكر ابن الخطيب من أن بها من البربر والمهاجرة الكثير<sup>(٧)</sup> «والبربر منهم يرجع إلى قبائله البرينية والزناية والمغراوية»<sup>(٨)</sup>.

ولما فتح الموحدون الأندلس ساروا على سنة أسلافهم فأسكنوا الموحدنين مدن الأندلس وثغوره، بدأ عبد المؤمن بن على هذه السياسة<sup>(٩)</sup> وسار خلفاؤه عليها.

- (١) ابن عذارى: المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٦، التبيان ص ٤٢.  
 (٢) غن سقوط طليطلة انظر ابن بسام: الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ١٦٣ وما بعدها، المقرئ: فتح الطيب ج ٤ ص ٦٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٦٩ - ص ٧٠ ابن الخطيب: أعمال الاعلام ص ٢٣٥، عبد السلام الطود: بنو عباد بأشبيلية ص ١٣٥، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ص ١١٠، الحجى: التاريخ الأندلسى الطبعة الأولى ص ٣٣٧.  
 (٣) ابن أبى زرع: الأئیس المطرب ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥ مجهول: الحلال الموشية ص ٧٣، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٠٣.  
 (٤) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين والموحدنين مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ ج ٢ ص ٩٧ سنة ١٩٤٩ م.  
 (٥) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر الطوائف) ص ٤٤، ص ١١٨ وما بعدها، إحسان عباس: الأدب الأندلسى: عصر الطوائف والمرابطين ص ١٣، ص ١٤، التبيان: ص ١٧٦.  
 (٦) ألونشريشى: (أبو العباس يحيى) المعيار المغرب ج ٣ ص ٣٠٦، مؤلف مجهول: ذكر بعض مشاهير فاس فى القديم، تحقيق عبد القادو رمامة مجلة البحث العلمى الرباط ص ٥٢ سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥.  
 (٧) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٣٤.  
 (٨) ابن الخطيب: المصدر السابق ج ١ ص ١٣٦.  
 (٩) البيهقى: أخبار المهدي: ص ١٢٥ - ١٢٧.

ولما فتح يوسف بن عبد المؤمن شرق الأندلس أنزل زناتة بلنسية وأنزل صنهاجة<sup>(١)</sup> وهسكورة<sup>(٢)</sup> فى شاطبة ومرسية وأنزل أهل تينمل<sup>(٣)</sup> فى لورقة كما أنزل قبيلة جومية<sup>(٤)</sup> فى المرية وبرشانة من إقليم غرناطة ولقد اختلفت مهن البربر تبعاً لأوضاعهم فقد عملوا فى التجارة<sup>(٥)</sup>

(١) احتلت قبائل صنهاجة مساحات شاسعة من المغرب إذ امتدت من نول لمطة فى جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان فى إفريقية حيث أقاموا فى المناطق الصحراوية، انظر ابن الخطيب: أعمال الاعلام القسم الثالث ص ٢٢٥ تحقيق العبادى، بن أبى دينار القيروانى: المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ص ١٠١، حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٤، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٦٩٠.

J.S.Trimingham, A History of Islam in West Africa, P.; 20

يقول ابن خلدون «هذا القبيل من أوفى قبائل البربر وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده لا يكاد قطر من الاقطار يخلو من بطن من بطونهم فى جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر» ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ١٥٢ عن صنهاجة انظر ابن الخطيب: أعمال الاعلام القسم الثالث، العبادى ص ٢٢٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٢٨، السلاوى: الاستقصا ج ٢ ص ٣، يذكر عبد العزيز بن عبد الله أن صنهاجة ضمت مجموعة كبيرة من القبائل بلغة سبعين قبيلة: عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب ج ١ ص ١٠٠.

(٢) أما هسكورة فقد وصفهم ابن خلدون بقوله «وأما هسكورة وهم لهذا العهد فى عداد المصامدة وينسبون إلى دعوة الموحدين وهم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة» ابن خلدون نفس المصدر ج ٦ ص ٢٠٣.

(٣) أهل تينمل وترجع أهميتها لانضمامها للدعوة الجديدة وإقامة المهدي بين ظهرانيهم ومن هنا اكتسبوا منزلة بين القبائل «يقول ابن القطان» وكذا تينمل لإخوتهم - أى أخوة قبيلة هرغة - فى التعصب على دعوة المهدي والاشتغال عليه والقيام بأمره حتى تحيز إليهم وبنى داره ومسجده بينهم فكان يعطيهم من الفىء بقدر عظيم.

ابن القطان نظم الجمال ص ٣٠، البيدق: أخبار المهدي، ابن خلدون نفس المصدر: ج ٦ ص ٢٦٧.

(٤) وكومية تتسب إلى قبائل البتر وهم يعرفون قديماً بصطفورة بطن من بنى فاتن بن تامصبت بن ضرى بن رجيح بن ماذغيش الأبتز وهم أسناء عم زناتة، السلاوى: الاستقصا: ج ٢ ص ٩٩ البيدق: نفس المصدر ص ١٢٧ عن كومية: انظر ابن خلدون: العبر ج ٦، ص ١٢٦، عبد العزيز بن عبد الله: وحدة المغرب العربى ص ٥٤ مجلة تطوان عدد ١ ص ٥٦.

(٥) كان التجار المغاربة يستوردون الذهب والجلود والعاج وغيرها من البضائع من غانا ويصدرون إليها الملح والنحاس والمسبوك والأصداق وآلات الحديد المصنوع، انظر الإدريسي: وصف المغرب والأندلس ص ٦٦.

والزراعة<sup>(١)</sup> والصناعة<sup>(٢)</sup> وتولوا بعض الأعمال الإدارية بالإضافة إلى بعض المهن الأخرى مثل العمل في مناجم الفحم وحراسة الدروب<sup>(٣)</sup>، هذا إلى جانب الطبقات الحاكمة من الأمراء والوزراء والقادة المرابطين<sup>(٤)</sup> والموحدين.

أما عن علاقة البربر بأهل البلاد سواء من أهل غرناطة أو المدن الأندلسية الأخرى، فقد بينها المقرئ بقوله «عرف أهل الأندلس يبغضهم وعداوتهم للبربر فلا تجد أندلسياً إلا مبغضاً بربرياً، وبالعكس إلا أن البربر<sup>(٥)</sup> أحوج إلى أهل الأندلس لوجود بعض الأشياء عندهم وفقدهم في بلاد البربر» وهم في نظر الأندلسيين نكد وشؤم والدماء عندهم<sup>(٦)</sup> هوان «وإذا غضبوا قتلوا أو جرحوا»<sup>(٧)</sup>.

(١) اتخذت قبائل البربر الفلاحة مهنة لهم يتوارثونها فكانوا يزرعون الأرض مستغلين الظروف الطبيعية في استثمار المحاصيل الزراعية المختلفة، فقبائل المصامدة اهتموا بالزراعة وغرس الأشجار، انظر Terrasse: Histoire du Maroc; P. 22 كذلك قبائل دكالة اهتمت بالزراعة وقامت بزراعة البساتين والحدائق المختلفة، انظر مجهول: الاستبصار ص ٢٠٩ أما قبائل تامسنا فقد اشتغلت بالزراعة، وصفهم الإدريسي بقوله «وقبائل تامسنا شتى متفرقة فمنهم برغواطة ومطماطة وبنو تسلت وبنو يغمران ودرقارة وبعض من زنانة وبنو يخفش من زنانة وكل هذه القبائل أصحاب حرث ومواشى وجمال» انظر الإدريسي: وصف المغرب والأندلس ص ٧٠ - ص ٧١، ابن سعيد: نزهة الأنظار ج ١ ص ١٤.

(٢) حينما استولى عبد المؤمن بن علي على مراکش من يد المرابطين فإنه أبقى على أرواح الصناع، يقول ابن الأثير (ولما فتح عبد المؤمن مراکش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراکش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام فنودي بأمان من بقي من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الأسواق ممن ننتفع بهم، فتركوا وأمر بإخراج القتلى من البلد فأخرجوهم» ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٠١، ٩ أجزاء مطبعة الاستقامة: راجع عن امتحان البربر الزراعة والصناعة والتجارة Terrasse; Histoire du Maroc. P. 22.

(٣) مؤلف مجهول: بعض مشاهير فاس ص ٥٥، ص ٥٦.

(٤) مجهول: الحلل الموشية ص ٣٣.

(٥) المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ٢٢٨ - ص ٢٢٩ ط القاهرة سنة ١٩٤٩.

(٦) المراكشي: المعجب ص ٩٩ طبعة سنة ١٩٤٩.

(٧) ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٢٨.

وكان دخول البربر فى الحياة المدنية بصورة واسعة من الأشياء التى آلمت الأندلسيين الذين كانوا أسبق فى مجال الحياة المدنية<sup>(١)</sup>، فأهل غرناطة رفضوا تولية ابن حماد الصنهاجى قاضياً عليهم فى سنة ٥٣٥ هـ - سنة ١٩٤١ م<sup>(٢)</sup> ومما زاد فى هذه الفجوة بين الأندلسيين والبربر ما يسميه ابن الخطيب «النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة»<sup>(٣)</sup>.

والبربر الذين دخلوا المدينة من الأرياف أصبحوا كما يذكر حسين مؤنس طبقة جديدة حاكمة متميزة، فوجد الأندلسيون فرصة للنيل منهم بسبب أصلهم البربرى<sup>(٤)</sup>.

ويذكر الشقندى أنه لولا توسط ابن عياد لدى شعراء الأندلس فى مدح يوسف بن تاشفين «ما أجزوا له ذكرا ولا رفعوا لملكه قدرا»<sup>(٥)</sup> وعرضوا بجهل الأمير يوسف بن تاشفين باللغة العربية<sup>(٦)</sup>.

وفى عهد الخليفة الموحدى أبى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وصف ابن رشد الحفيد الخليفة الموحدى بملك البربر وكان ذلك من أسباب محتته<sup>(٧)</sup>.

(١) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى ص ٨٢.

(٢) ابن بشكوال الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس ج ٢ ص ٦١٤ تحقيق عزت العطار القاهرة مكتبة الخانجى سنة ١٩٥٠ حاشية رقم (١) «هو موسى ابن حماد الصنهاجى من أهل العدو، يكنى أبا عمران كان فقيهاً حافظاً للرأى، عالماً بالمسائل والأحكام مقدماً فى معرفتها، تولى القضاء بحضرة مراكش توفى بها فى ذى القعدة من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ومولده سنة ست وأربعين» انظر المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: ج ١ تحقيق ليفى بروفنسال، ص ٢٧٧.

(٤) حسين مؤنس: سبع وثائق جديدة صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٤٥ المجلد الثانى العدد ١ - ٢ ص ٧٥ ونصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطة إلى الموحدين معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٥ المجلد الأول عدد ٣ ص ١١٨.

(٥) المقرئ: نفع الطيب: ج ٣ ص ١٩١، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٧.

(٦) المقرئ: المصدر السابق: نفس الجزء ونفس الصفحة.

(٧) المراكشى: المعجب: ص ٢٨٤ «فى ذلك يذكر المراكشى، فإن الحكيم أبا الوليد - رحمه الله - أخذ فى شرح كتاب الأساطيلس صاحب كتاب المنطق، فهذه، وبسط أغراضه وزاد فيه ما رآه لافتقاره، فقال فى هذا الكتاب عند ذكره الزرافة: وكيف تتولد وبأى أرض تنشأ: «وقد رأيتها عند ملك البربر» انظر المصدر السابق، نفس الصفحة.

وعلى الرغم من أن هذا هو الطابع الغالب عند أهل غرناطة والأندلسيين عامة فى نظرتهم إلى البربر، فهناك قلة من الأندلسيين - من الكتاب والفقهاء - تجاوزت الأصل البربرى ونظرت للمرابطين نظرة حب وبتجيل، فبفضل المرابطين هُزم القونسو السادس فى الزلافة، وقد أظهر الأندلسيون إعظامهم ليوسف بن تاشفين<sup>(١)</sup>.

وفى ذلك يقول المراكشى: «فلم يزل أصحاب يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكة مملكة إلى أن أمددت أنت لهم الجزيرة بأجمعها، فأظهروا فى أول إمرتهم من النكاية فى العدو، والدفاع عن المسلمين وحماية الثغور، ما صدق بهم الظنون، وأثلج الصدور وأقر العيون فزاد حب أهل الأندلس لهم»<sup>(٢)</sup>.

ومن هؤلاء الكتاب أبو بكر يحيى بن الصيرفى، المؤرخ الغرناطى وهو أحد الشعراء الموجودين، له تاريخ مفيد قصره على الدولة اللمتونية وكان من شعرائها وخدام أمرائها توفى سنة ٥٥٧ هـ عن تسعين عاما<sup>(٣)</sup>.

كذلك الفقيه ابن العربى الذى دافع عن المرابطين بوله «ولو لم يكن لهم فضل سوى الزلافة لكفاهم»<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد استغل بعض الأندلسيين لبس اللثام تشبهاً بالمرابطين لإنجاز بعض الأعمال التى تعود عليهم بالنفع مما دعا ابن عبدون إلى أن ينهى عن لبسه قائلاً «يجب أن لا يلثم إلا صنهاجى أو لمتونى أو لمطى فإن الحشم والعييد ومن لا يجب أن يلثم يلثمون على الناس ويهيئونهم ويأتون أبواباً من الفجور كثيرة بسبب اللثام»<sup>(٥)</sup>.

(١) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٢٦.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦، عن ذلك انظر Dozy: Hist.: P: 300

(٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: ج ٢ ص ١١٨ «ألف كتابا فى العصر المرابطى أسماه الأنوار الجلية فى أخبار الدولة اللمتونية المرابطية» انظر ابن السخيط: مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥.

(٤) الونشريشى: المعيار المغرب ج ١٢ ص ١٧٩ وما بعدها.

(٥) ابن عبدون: رسالة فى الحسية: ص ٢٨.

## الأندلسيون:

بعد فتح الأندلس، أسلم كثير من الأاسبان وقد عرفوا هؤلاء الأاسبان باسم المسالمة<sup>(١)</sup>، وقد أنجب هؤلاء المسالمة جيلاً جديداً عرفوا باسم المولدين<sup>(٢)</sup>، وهم الذين ولدوا من آباء مسلمين فنشأوا على الإسلام.

وقد تميز القرن الخامس الهجرى بصعوبة التمييز بين العناصر والأجناس البشرية الموجودة فى البلاد الأندلسية سواء من العرب أو البربر أو المسالمة أو المولدين، فقد تم التمازج بين تلك العناصر فأطلق عليهم جميعاً الأندلسيين، ويذكر Simonet أن هذا اللفظ ظهر منذ القرن الثالث / أوائل العاشر الميلادى عندما اختفت ألفاظ أخرى مثل مسالمة ومولدين<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن هذا كان مفهوم معظم الكتاب والمؤرخين أمثال ابن عبدون حين كان يفرق بين الأندلسيين والمرابطين<sup>(٤)</sup>.

وبهذا المفهوم أيضاً استعمل اللفظ فى التشكيلات العسكرية حيث يذكر ابن الخطيب فى حديثه عن الأندلسيين من أهل غرناطة<sup>(٥)</sup> «وجندهم صنفان أندلسى وبربرى والأندلسى منهم يقودهم رئيس من القرابة أو حصى»<sup>(٦)</sup> وبهذا المفهوم أيضاً استعمل ذلك

(١) لطفى عبد البديع: الإسلام فى أسبانيا: ص ٢٤ انظر عن هؤلاء المولدين فيليب حتى: تاريخ العرب.

(2) Simonet: Los Mozarabes; p.XVI. Del Prolgo, Levi - Provençal: Histoire de L'Españ. P 74 - 75.

(3) Simonet: OP. Cit; Levi Provençal: OP. Cit. p. 74 - 75; Levi Provençal: L; Espagne Musulmane, P. 18 - 20.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٩، ص ١٦.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦.

(٦) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٣٦، «الحصى هو الرجل الوافر العقل، انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، هامش رقم ٤١.

اللفظ في تشكيلات الموحددين الإدارية، فقد كانت عندهم هيئة استشارية من أشياخ الأندلسيين<sup>(١)</sup>.

وكان من هؤلاء الأندلسيين من كانت أصوله غير عربية مثل ابن همشك<sup>(٢)</sup> وبنى مردنيش<sup>(٣)</sup>، كذلك يذكر ابن الخطيب أن كثيرين من أهل غرناطة أنسابهم عربية «يكثر فيها القرشي والفهري و الأموي والأمي والأنصاري، والأوسي والخزرجي والقحطاني، والحميري والمخزومي والتونخي والغساني والأزدى والقيسي والمعافري والكناني والتميمي والهذلي والبكري والكلابي والنمري واليعمرى والمازني والشقفي والسلمي والفزاري والباهلي والعبسي والعذري والحججي والضبي... والقشيري والقضاعي»<sup>(٤)</sup>.

إلى آخر هذه الأسماء التي ترجع في نسبها إلى أصولها العربية، هذا وقد اشتغل هؤلاء الأندلسيون بمهن كثيرة فعملوا في الزراعة والصناعة والتجارة<sup>(٥)</sup>، ويذكر حسين مؤنس أنهم كانوا من أوفر العناصر البشرية نشاطًا وأكثرها تلاؤمًا مع ظروف الحياة في شبه الجزيرة الأندلسية<sup>(٦)</sup>.

هذا وقد اشتهر كثيرٌ من الأندلسيين في العصر المرابطي، فكان يوسف بن تاشفين «يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ويأخذ برأيهم ويقضى على نفسه بفتياهم»<sup>(٧)</sup> ولذلك ترك المرابطون والموحدون مناصب القضاء والفتيا في القواعد الكبرى للأندلسيين وذلك لسبب واضح وهو أنه لم يكن بين العلماء المرابطين من يستطيع الاضطلاع بهذه المناصب في بلد كالأندلس، امتار قضاته بغزير علمهم، فكان أولئك

(١) انظر عنهم: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١١٢، ص ١١٣، ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ قسم ٣ ص ٥٨ العصر الموحدى، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ٨٧، وتنظيمات الموحددين ص ٢٢٥ - ص ٢٥٦.

(٢) عن ابن همشك انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٣٠٥ - ص ٣١١، ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ١٨٠ وما بعدها.

(٣) Dozy: Recherches I, P.P. 368 - 369

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٥.

(٥) مجهول: ذكر بعض مشاهير أعيان فاس، ص ٥٦ وما بعدها.

(٦) حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٤٣٥.

(٧) مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، تحقيق عبد القادر زمامة، طبعة سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

القضاة الأندلسيون يتمتعون لدى العاهل المرابطى بكثير من النفوذ ولهم كلمة مسموعة فى كثير من الشئون الهامة وكانوا فى نفس الوقت رسلة لتدعيم هيئته ونفوذه لدى الشعب الأندلسي<sup>(١)</sup>.

هذا وقد بلغ من نفوذ الفقهاء والقضاة الأندلسيين أنهم كانوا يعينون فى المناصب حتى فى بلاد المغرب، فقد تولى القاضى عبد العظيم بن يزيد بن يحيى بن يزيد بن هشام الخولانى من قرية غلجر من قرى إقليم غرناطة، قضاء دكالة، ثم قضاء سلجماسة<sup>(٢)</sup>. وقد تحدث ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة عن الأندلسيين من أهل غرناطة فوصف أخلاقهم وعاداتهم فقال «أحوال هذا القطر فى الدين وصلاح العقائد أحوال سنية والنحل فيهم معروفة فمذاهبهم على مذهب مالك بن أنس»<sup>(٣)</sup>.

ويستوقف نظرنا قوله «وصورهم حسنة وأنوفهم معتدلة وألوانهم زهر مشربة بحمرة، وألستهم فصيحة عربية يتخللها غرب كثير، وتغلب عليهم الإمالة وأخلاقهم أبية فى معانى المنازعات وأنسابهم عربية، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير، ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شفاء...»<sup>(٤)</sup>، ثم يستمر فى وصف الأندلسيين من أهل غرناطة فيقول «فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»<sup>(٥)</sup> ثم يواصل ابن الخطيب حديثه فيتحدث عن نساء غرناطة فيصفهن بأنهن ذوات جمال «موصوف بالسحر وتنعم بالجسوم واسترسال الشعور ونقاء الشغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاوراة إلا أن الطول يندر فيهن»<sup>(٦)</sup>.

(١) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٨ وما بعدها، انظر عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر المرابطين): القسم الأول ص ٤٩٦.

(٢) ابن الزبير: أبو جعفر أحمد: صلة الصلة: ص ٣٤، القسم الأخير وهو ذيل للصلة الشكولية فى تراجم أعلام الرباط، صححه وعلق عليه ليفى بروفنسال، الرباط ١٩٣٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٤.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٤ - ص ١٣٥، الملف المصبوغ هو الجوخ المنسوج من الصوف، انظر ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٣٨، Dozy: Diction: p 114.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٣٥.

(٦) ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٣٩.

هذا وقد شارك الأندلسيون من أهل غرناطة بخبرتهم في مختلف المناصب في الدولة، فقد عين الأندلسيون في أهم تلك المناصب مثل القضاء والفتيا كما سبق أن ذكرت بالإضافة إلى منصب الكتابة، فكان بلاط مراكش في عهد علي بن يوسف يضم طائفة من أقدر الكتاب الأندلسيين في هذا العصر وكان من الطبيعي أن تعتمد الدولة اللاتينية التي نشأت في بيئة من البداوة والتشّيف في شؤون الكتابة على أقطاب البلاغة من الكتاب الأندلسيين وأن يكون أولئك الكتاب ألسنتها لدى الشعب الأندلسي الذي اعتاد على أساليب الكتابة الراقية<sup>(١)</sup>.

وفي العصر الموحدى اتخذ الخلفاء الموحدون والسادة من الولاة سواء بالمغرب أو الأندلس أبلغ كتاب العصر من الكتاب الأندلسيين<sup>(٢)</sup>.

وكما تأثر خلفاء الموحدين بعلمائهم وأدبائهم فقد تأثروا أيضا برجال الفن الأندلسيين ومهندسيهم ونخص بالذكر منهم مهندسين اشتركوا في تشييد معظم آثار بني عبد المؤمن، وهما أحمد بن باسة عريف البنائين في الأندلس، والحاج يعيش الملقى<sup>(٣)</sup> الذي اشترك في بناء حصن جبل طارق<sup>(٤)</sup>، واستفاد الموحدون من ابن رشد الحفيد وابن طفيل الوادى آشى وابن جعفر الذهبى وغيرهم في الطب والصيدلة<sup>(٥)</sup>.

وهكذا نرى أن المرابطين والموحدين لم يستطيعوا أن يزاحموا الأندلسيين في مراكز القضاء والفتيا والكتابة والحسبة وغيرها من الوظائف الهامة التي شغلها الأندلسيون دون منازع.

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٤٩، عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين: ص ٤١٧.

(٢) عنان: المرجع السابق: ص ٣٦٣ عصر الموحدين.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٩٧.

P. Antuna Melchor, Sevilla ysus monumentos Arabes, P.P. 131 - 133.

Torres Balbas, Arquitectos Andaluces de los Epocass Almoravidey Almohade; Al - Andalus, 1946, Face 1, P.P. 214 - 224.

(٤) عن ذلك انظر: عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامى): ص ٨٣٥.

(٥) عن هؤلاء انظر: ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج ٢ ص ٦٦ - ٨٩.

## أهل الذمة:

بجانب العنصرين البربري والأندلسي أقام في غرناطة خليط عجيب من أصول أسبانية<sup>(١)</sup> ممن احتفظوا بديانتهم (سواء المسيحية أو اليهودية) وعاشوا في كنف الدولة الإسلامية وهؤلاء سماوا بأهل الذمة<sup>(٢)</sup> كما أطلقت عليهم الروايات اسم الروم المعاهدة<sup>(٣)</sup> أو النصارى المعاهدين<sup>(٤)</sup> أو المعاهدين فقط<sup>(٥)</sup>، ويندرج تحت هذا اللفظ أيضًا

(١) لطفى عبد البديع: الإسلام في أسبانيا: ص ٢٧، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم من ٢٣٠، العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١١٧.

(٢) أهل الذمة: النصارى المعاهدون أو المستعربون بالأسبانية Los Mozarabes وهم النصارى الذين بقوا بعد الفتح الإسلامى فى الأندلس حيث سكنوا المدن والبقاع المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية، وكانوا يكونون أقليات كبيرة فى القواعد الرئيسية مثل قرطبة وأشبيلية وطليلة وغرناطة ويتمتعون فى ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلى، ويطبقون شرائعهم الدينية، ولهم قضاؤهم الخاص ولهم كنائسهم يزاولون شعائرهم الدينية، وكانوا فوق ذلك يتمتعون بنفوذ قوى ويحتل الكثير منهم مناصب عامة فى الجيش والحكومة، وقد أنشأت الحكومة الإسلامية فى الأندلس - اعترافًا منها بأهمية الأقليات النصرانية - منصب القومس للنصارى ليكون مرجعهم الرئيسى فى شؤونهم الروحية وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ، ولما نمت هذه الأقليات النصرانية وازدهرت، بدأت فى مناوأة الحكومة الإسلامية وتدمير الدساتير ضدها، وكانت عضد الثورات المختلفة فى المدن والمقاطعات الثائرة ولا سيما طليطلة وما يجاورها من المدن القريبة من حدود النصارى «وسوف نرى ما فعله المعاهدة من استدعائهم ابن زرمير لغزو غرناطة، ومن الغريب أنهم مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلامية كانوا يأخذون بسقط وافر من التقاليد الإسلامية وكانوا يتكلمون العربية ويستعملونها فى معاملتهم، ولبت النصارى المعاهدة على مر العصور شوكة فى جنب الإسلام، وفى تاريخ النصارى المعاهدين خصص العلماء الأسبان مصنفات كثيرة فى تاريخ المعاهدين منهم المستشرق Simonet الذى وضع مؤلفًا كبيرًا عنوانه.

Historia de Los Mozarabes de Espagne

عن النصارى المعاهدة انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤، ابن عذارى: البيان، ج ٤ ص ٤٠.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٤٠، وسمى أيضًا المعاهدة بالروم البلديين.

(٤) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٦٩ - ٧٣، ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس

اليهود<sup>(١)</sup> الذين يسميهم ابن صاحب الصلاة في كتابه المن بالإمامة «اليهود الإسلاميين»<sup>(٢)</sup> وهم اليهود الذين عاشوا في ظل السيادة الإسلامية.

ولقد سكن أهل الذمة من النصارى واليهود في سائر المدن الأندلسية<sup>(٣)</sup> كما يلاحظ انتشارهم الواسع في أرياف الأندلس أيضاً<sup>(٤)</sup>.

ومنذ عصر الطوائف تدفقت موجات كبيرة من اليهود إلى الجنوب حيث كان لهم شأن كبير في مملكة غرناطة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري<sup>(٥)</sup>، وصارت تضم أكبر جالية يهودية، فسميت بغرناطة اليهود<sup>(٦)</sup>، لكثرة اليهود النازلين بها، كما كشفت حملة ابن رزمير<sup>(٧)</sup> في سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م والتي هاجم فيها الأندلس من الشمال حتى الجنوب وعاث في أقطاره فساداً، فهي تدل على مدى انتشارهم الواسع وخاصة في غرناطة<sup>(٨)</sup> فيذكر ابن عذارى «إن الأمير أبا طاهر - والى غرناطة - لما هم بثقافهم أعياء ذلك لكثرتهم وبعد أقطارهم»<sup>(٩)</sup>.

كان لاستقرار أهل الذمة من اليهود والنصارى في أرياف الأندلس وخاصة غرناطة أن

(١) ابن الخطيب: نفس المصدر: نفس الصفحات.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١.

(٣) ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٣٩ - ص ٤١ ج ٤، قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٥٠ - ص ٥٣، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١، وما بعدها.

(٤) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢٣، ص ١٠٨، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٣٦، الحميري: الروض المعطار: ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) الحميري: المصدر السابق: ص ٢٣، التبيان: ص ٣٢.

(٦) الحميري: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٧) هو ألفونسو الأول ملك أراجون ويعرف في الروايات العربية باسم ابن رزمير وكان صعب المراس حتى أنه لقب بالمحارب، انظر ابن عذارى: البيان: ج ١ ص ١٠٨ - ص ١١٤، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ٩١، أمبرسيو هويشى ميراندا: على بن يوسف وأعماله في الأندلس، مجلة تطوان، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ - ٤، سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩، ص ١٧٢.

(٨) ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٧٠.

عملوا في الزراعة والرعى والصيد<sup>(١)</sup>، وقد استفاد ألفونس السادس لقشتالي من النصارى المعاهدة في غرناطة فنقل عدداً كبيراً منهم سنة ٤٨٧ هـ (١٩٠٤ م) لعمارة أرض طليطلة<sup>(٢)</sup>.

وفي ذلك يقول ابن عذارى «واتصل النبأ بإذفونش - وقحه الله - وقد تجاوز في نصف طريقة لنصرة لزريق، وبلغه هديته من نهب المحلة، فكره أن يفرق جمعه وينظف جيشه، فقصد أرض وادي آشى من نظر غرناطة، فتردد في جهاتها، واكتسح ما ألقاه بها وحمل جملة من رعيها المعاهدة لعمارة أرض طليطلة<sup>(٣)</sup>.

كما عمل أهل الذمة وخاصة اليهود في صناعة الذهب والفضة والنحاس وما يصاغ منها<sup>(٤)</sup>، ويؤكد هذا ابن يوسف الحكيم فيذكر: أن أهل الذمة وخاصة اليهود كانوا يشتغلون في الصياغة والصفيرفة<sup>(٥)</sup>، أما الخطط الإدارية مثل الكتابة والحجاية والوراثة فلم نسمع عن تولى ذمى لأى من هذه المناصب في عصر المرابطين والموحدين على الرغم من تولى هذه الوظائف في عصر ملوك الطوائف<sup>(٦)</sup>.

ولكن تولى بعض الذميين أعمال الحجاية. في عهد الأمير المرابطى على بن يوسف إذ يذكر ابن الأثير أن على بن يوسف استعمل جنده الرومى في أعمال الحجاية<sup>(٧)</sup>، ويتضح من

(١) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢ - ص ١٠٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٤٣ - ص ١٤٤، ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٧١.  
«حيث جلب النصارى المعاهدة الأقوات والعلوفات لجيش ألفونسو المحارب» انظر: ابن عذارى، المصدر السابق ص ٧٩.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٣٦.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٣٦.

(٤) Goitein, Jews and Arabs; P. 115.

(٥) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، تحقيق حسين مؤنس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد: سنة ١٣٧٩ / ١٩٦٠، ص ١١٥ - ص ١١٦.

(٦) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٥٧٣، ابن عذارى: المصدر السابق: ص ٢٦ عن ذلك انظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١١، حركات: المغرب عبر التاريخ: ص ٢٢٩، ليفى بروفنسال: الإسلام في المغرب والاندلس: ص ٢٢٧، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، ابن عذارى: المصدر السابق: ص ٢٦.

هذا أن أهل الذمة استخدمهم المرابطون ثم الموحدون في بعض فرق الجيش<sup>(١)</sup>، يقول ابن عذارى «وفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناة لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم البربرتير فبقى يحاربهم نحو شهرين، ثم رجع إلى مراكش»<sup>(٢)</sup>.

بالإضافة إلى هذه المهنة نجد أهل الذمة يقومون بالاشتغال بتدريس العلوم المختلفة والعمل في مجال الطب مما جعل ابن عبدون ينهى عن عمل اليهود والنصارى في هذا المجال فهم غير أمناء في نقل العلوم، قال «يجب أن لا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب علم إلا ما كان من شريعتهم فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقتهم وهي من تواليف المسلمين»<sup>(٣)</sup>، كما كان يشك في نصيحتهم الخاصة للمرضى المسلمين «لا يترك طبيب يهودى أو نصرانى أن يجلس لطبيب المسلمين فإنهم لا يرون نصيحة مسلم إلا أن يطيبوا أهل ملتهم»<sup>(٤)</sup> ولذلك راعى ابن عبدون «ألا يعالج يهودى أو نصرانى»<sup>(٥)</sup> مسلماً.

وقد بلغ أهل الذمة قدرًا كبيرًا من الثراء وخاصة اليهود مما دفع ابن تاشفين إلى فرض أموال كثيرة عليهم ليستعين بها في دعم مركزه<sup>(٦)</sup>، يقول ابن عذارى «فيها أى سنة ٣٦٣ هـ افترض على اليهود ضريبة ثقيلة في جميع طاعته اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشرية نيف على ثلاثة عشر ألف دينار»<sup>(٧)</sup> وذلك يدل على ما كان يتمتع به أهل الذمة من ثراء كبير.

(١) ابن الأثير: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة، ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٩٨، انظر حسن محمود قيام دولة المرابطين نفس المرجع والصفحة، أشباح: ج ٢ ص ٢٣٩ وعن استخدام النصارى المعاهدين في العصر الموحدى وعصر عبد المؤمن بن على وابنه يوسف انظر أخبار المهدي: ص ١٢٧.

J.F.P.: Hopkins; Medieval Muslim; P. 69.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٩٨.

(٣) ابن عبدون: رسالة في الحسبة: ص ٥٧.

(٤) ابن عبدون: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) ابن عذارى: نفس المصدر: ص ٥٥.

(٦) ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٢٣.

(٧) ابن عذارى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

هذا وقد تأثرت فئة أهل الذمة بالتطورات السياسية التي طرأت على الأندلس كما سبق القول فسيطرة المرابطين ومن جاء بعدهم من الموحدين غيرت أوضاع أهل الذمة من النصراني واليهود، فبالنسبة للمعاصرين النصارى، فقد التزمت الدولة تجاههم بتعاليم الشريعة الإسلامية وهي أن يختاروا أحد أمرين: إما الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية<sup>(١)</sup> ومن الواضح أن أغلب هؤلاء النصارى رضوا بدفع الجزية<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد اختلفت أوضاع أهل الذمة من المعاهدة في عصر المرابطين والموحدين، عنها في عصر ملوك الطوائف، حيث عاش هؤلاء المعاهدة في ظل انتعاش اقتصادي لم يألّفوه من قبل ولم يواجههم أي اضطهاد يذكر<sup>(٣)</sup>، فقويت شوكتهم وخاصة في غرناطة<sup>(٤)</sup>، يقول ابن عذارى: واكتسبوا الجاه والمال واستطالوا على المسلمين<sup>(٥)</sup> وتعسفوا في جباية الضرائب، ويقول ابن الكردبوس: إن ملوك الطوائف وكلوا أمور المسلمين إلى اليهود فعاثوا فيها عيث الأسود<sup>(٦)</sup> فكانت هذه العوامل سبباً في بغضهم والثورة عليهم وخاصة في غرناطة<sup>(٧)</sup>.

وفي عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين قام النصارى المعاهدة في غرناطة باستدعاء ابن رزمير عدو المسلمين وزينوا له اقتحام غرناطة<sup>(٨)</sup>، يقول ابن الخطيب: «ولما تحركت

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية: ص ١٤٢، الريس: الخراج والنظم المالية: ص ١٢٢، صبحي الصالح: النظم الإسلامية: ص ٣٦٣.

(٢) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين: ج ١ ص ١٧.

(٣) Levi Provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane, 1 P.P. 80 - 81

(٤) ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١١٤، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٣ ص ٢٦٤، عبد الله بن بلقين: البيان: ص ٤٥.

(٥) ابن عذارى: نفس المصدر: نفس الجزء والصفحة.

(٦) ابن الكردبوس: الاكتفاء: ص ٧٨.

(٧) عن ثورة أهل غرناطة على اليهود ومقتل ابن التفريلة اليهودي انظر عبد الله بن بلقين: البيان: ص ٥٤، ابن بسام: الذخيرة: ج ١ قسم ٢ ص ٢٧٨ وما بعدها، المقرئ: النسخ: ج ٤ ص ٣٢٢.

(٨) مجهول: الحلل الموسوية: ص ٩١، ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٦٩ - ص ٧٠ ابن رزمير هو الاسم الذي تطلقه الرواية الإسلامية على الفونسو الأول ملك اراجون (١١٠٥ - ١١٣٤) نسبة إلى اسم أبيه وامير، وقد كان ملكاً مقداماً وهو الذي افتتح سرقسطة من يد المسلمين في سنة ١١٨ م وانتزع إلى جانبها باقي قواعد الثغر الأعلى، وفي سنة ١١٢٥ م (٥٩٨ هـ) خرج بقواته استجابة =

لعدو الله الطاغية ابن رزمير ربح الظهور، على عهد الدولة المرابطية قبل أن يخص الله شوكته على ا فراغة بما هو مشهور، أملت المعاهدة<sup>(١)</sup> من النصارى لهذه الكورة إدراك الثرة وأطمعت في المملكة فخاطبوا ابن رزمير من هذه الاقطار، وتوالت عليهم كتبهم وتواترت رسلمهم ملححة بالاستدعاء مفعمة في دخول غرناطة فلما أبطأ عنهم، وجهوا إليه زماما على اثني عشر ألفا من أتجاد مقاتليهم فاستأثروا طمعه وابتعثوا جسعه واستفزه بأوصاف غرناطة وما لها من الفضائل على سائر البلاد وبفحصها الأفيج وكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان وكثرة المرافق.<sup>(٢)</sup>

فكانت هذه الأحداث وموقف أهل الذمة من المسلمين سببا في أن دفعت أمير المسلمين على بن يوسف إلى تغريب عدد كبير من النصارى إلى المغرب الأقصى خاصة بعد أن عبر ابن رشد<sup>(٣)</sup> إلى أمير المسلمين على بن يوسف وأفتاه بتغريب هؤلاء النصارى وغيرهم ممن يتعاونون مع العدو<sup>(٤)</sup>.

يقول صاحب الحلل الموشية لوفى سنة ٥١٩ هـ جاز القاضي أبو الوليد ابن رشد إلى مراكش فتلقاها أمير المسلمين على بن يوسف بالميرة والكرامة وبين له القاضي أمر الأندلس وما أصيبت به من النصارى المعاهدين بها وما جروه إليها وجنده عليها من استدعاء ابن رزمير وتقريته على المسلمين وإمداده وما في ذلك من نقض العهد والخروج على الذمة فلقى نظره بالقبول وأفتاه بتغريبهم وإجلالهم عن أوطانهم وهو أحق ما يؤخذ به في

= لتحريض النصارى المعاهدين إلى الغزوة المذكورة والتي يصفها كل من ابن عذارى وابن الخطيب.

(١) المعاهدة هم النصارى الذين شرحنا أحوالهم فيما تقدم وسموا كذلك بسبب المعاهدات التي ارتضى المسلمون عقدها معهم وسمح لهم فيها أن يحتفظوا بدينهم مقابل دفع الجزية، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٨، هامش رقم ٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٨ - ص ١٠٩.

(٣) يذكر كل من ابن الخطيب: في الإحاطة، وصاحب كتاب الحلل الموشية أن جواز ابن رشد كان سنة ٥١٩ هـ بينما جعل ابن القطان جواز ابن رشد إلى المغرب ٥٢٢ هـ وهذا خطأ، انظر ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٧٢ هامش ٢.

(٤) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١، ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١١٤.

عقابهم، ونفذ عهده إلى جميع بلاد الأندلس بإزعاج المعاهدين إلى ناحية مكناسة وسلا وغيرها من بلاد العدو<sup>(١)</sup>.

وقد ذهب بعض الكتاب أمثال فليب حتى وكارل بروكلمان إلى القول بأن أهل الذمة قد عاشوا في كنف المرابطين في جور وظلم واضطهاد<sup>(٢)</sup>.

ولكن من الواضح أن دولة المرابطين لم تقف موقف العداء من أهل الذمة، ولم ينلهم جور أو تعسف، فقد حاول المرابطون جاهدين عدم الخروج عن منهج الشريعة الإسلامية، ولم نجد في سياستهم ما يشير إلى مثل هذا التعسف وأن ما لحق بأهل الذمة من النصارى واليهود على أيدي المرابطين كان نتيجة لموقف النصارى المعاهدين وخاصة أهل غرناطة من المسلمين، فقد كان هؤلاء النصارى لا يدخرون وسعاً في الكيد والتآمر على المسلمين وتحريض ملوك النصارى ضدهم ومساعدتهم في الإيقاع بالمسلمين، حتى إذا سنحت الفرصة وسقطت طليطلة سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) وبعدها سرقسطة سنة ٥١٢ هـ/ ١١٨ م وتوالت انتصارات ألفونسو المحارب، ظن هؤلاء أنه بوسعهم أن يعملوا شيئاً لضرب الأندلس الإسلامية، فبعثوا بكتبهم ورسلمهم المتوالية يلحون عليه في افتتاح غرناطة<sup>(٣)</sup>، وتقديم المساعدة له، فشعر عندئذ أن الظروف مواتية له فقام بحملته المشهورة<sup>(٤)</sup>، إذن تغريبهم إلى بلاد العدو كان جزاءً لهم على ما فعلوا، فقد نقضوا العهد وذلك باتصالهم بالعدو، وجعلوا من أنفسهم جواسيس يعملون لصالح العدو، فكان لا بد من إبعادهم عن مواطن الاتصال بالعدو ونقلهم إلى المغرب ليكونوا تحت المراقبة، وهذا ما فعله أمير المسلمين وهو بمثابة إجراء وقائي ضدهم حتى يأمن شرهم<sup>(٥)</sup>.

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ٩١.

(٢) فليب حتى: تاريخ العرب: ص ٧٠٤، ترجمة مبروك نافع، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٢، كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية: ج ٢ ص ١٨٠، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، انظر أيضاً: S. P. Scott: History of the moorish Empire, P. 247.

(٣) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٧٢.

(٤) مجهول: نفس المصدر والصفحة، ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة، ابن عذارى: نفس المصدر والصفحة.

(٥) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠، ابن عذارى: البيان: ج ٤ ص ٦٩.

هذا وقد حاول دوزى أن يصور هدم كنيسة غرناطة بأنه اضطرار حل بالمعاهدين علماً بأن هذا العصر كان يشهد حرباً طاحنة في المشرق أعلنتها الصليبيون للاستيلاء على بلاد المشرق<sup>(١)</sup>، في الوقت الذي واجه المسلمون في الأندلس حرباً طاحنة من قبل نصارى أسبانيا الذين أصبحوا يتحينون الفرصة للقضاء على الدولة الإسلامية في الأندلس، وكان سقوط طليطلة ضربة قاصمة للمسلمين هناك، وما جاء المرابطون إلا لحماية الأندلس من السقوط في أيدي نصارى أسبانيا، فكان هدم كنيسة غرناطة ما هو إلا موقف رد به المرابطون على نصارى أسبانيا الذين حولوا مسجد طليطلة الجامع إلى كنيسة، وذلك رغم تعهد ألفونسو السادس بعدم التعرض لعقائد المسلمين ومساجدهم<sup>(٢)</sup>، وكذلك مسجد سرقسطة الجامع الذي حوله ألفونسو المحارب «ابن رذمير» إلى كنيسة<sup>(٣)</sup> فإذا كانت هذه هي معاملة النصارى للمسلمين فلا غرو أن يهدم المرابطون كنيسة غرناطة التي يصفها ابن الخطيب بأنها فريدة في العمران والطراز<sup>(٤)</sup> ولم يفرق المرابطون في معاملتهم أهل الكتاب سواء كانوا يهوداً أم نصارى، فقد فرضت الجزية على اليهود الذين يفضلون البقاء على دينهم، وربما فرضت عليهم جزية أكبر نظراً لثرائهم، كما يذكر ابن عذارى<sup>(٥)</sup> أن فرض الضرائب لم يقتصر على اليهود فقط بل أن المرابطين قد فرضوا بعض المعونات على جميع فئات المجتمع<sup>(٦)</sup> نظراً لحاجتهم إلى الأموال، بعد أن اتسعت رقعة دولة المرابطين وزادت نفقاتها<sup>(٧)</sup>.

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٩.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٩.

(٣) عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين: ص ١٠١، القسم الأول.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١٠٧.

(٥) ابن عذارى: البيان ج ٢ ص ٢٣.

(٦) لجأ المرابطون إلى فرض ضريبة جديدة على أهل الأندلس، تسمى التعتيب وذلك لبناء أسوار جديدة للمدن وترميم المتهدم منها مثل أسوار غرناطة والمرية، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٧٠ وما بعدها.

(٧) كانت الضرائب أهم ما هاجم به ابن تومرت المرابطين حين ثار عليهم، عن ذلك انظر أعز ما يطلب ص ٢٦١ عن اشتداد الأزمة المسالمة في أواخر عصر المرابطين، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ١٠٢.

ومما يدل على تمتع اليهود في عصر المرابطين بالأمن والطمأنينة أن علماءهم تمتعوا بحرية الكتابة والبحث والتأليف فقد نبغ منهم رجال وصل بعضهم إلى قصور الحكام، فقد ذكر ابن عذارى أن أبا عمر ينالة اللمتوني والى المرابطين على غرناطة «كان له كاتب يهودى الأعراف والأخلاق»<sup>(١)</sup>.

ومن الشعراء اليهود الذين نبغوا في عصر المرابطين الشاعر موسى بن عزرا الهالك (٥٢٢ هـ) من أهل غرناطة<sup>(٢)</sup>.

ولما قامت الدولة الموحدية، حملت الرعية على إقامة أركان الإسلام وتنفيذ أحكامه بصرامة وحزم بقصد خلق مجتمع إسلامى نقي<sup>(٣)</sup>، ولذلك رأى الخليفة عبد المؤمن بن على أن يحمى الشباب الموحدى من مخالطة اليهود والنصارى، شاربى الخمر وأكلى لحم الخنزير<sup>(٤)</sup>، فأصدر أوامره بأن يخير أهل الذمة من اليهود والنصارى بين اعتناق الإسلام أو الجلاء عن البلاد، يقول النويرى «وكان عبد المؤمن لا يدهن فى دولته ويأخذ الحق من ولده إذا وجب عليه، قال ولا مشرك فى بلاد لأنه كان إذا امتلك بلدًا إسلاميًا لم يترك فيه ذميًا إلا عرض عليه الإسلام، فمن أسلم سلم، ومن طلب المضى إلى بلاد النصارى أذن له فى ذلك ومن أبى قتل، فجميع أهل مملكته مسلمون لا يخالطهم سواهم<sup>(٥)</sup> ولهذا لم تتعقد عند الموحدين ذمة يهودى أو نصرانى»<sup>(٦)</sup>.

وفى عهد الخليفة أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن استمر موقف الموحدين من أهل الذمة حتى أن الخليفة أبى يوسف يعقوب ميزهم فى سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م بلباس معين، يقول المراكشى: «فى آخر أيام أبى يوسف أمر أن يميز (١) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٧٧.

(٢) محمد مجيد السعيد: الشعر فى عهد المرابطين والموحدين: ص ٥٤ - ص ٥٥.

(٣) إذا عرفنا أن المهدي ابن تومرت قد سفك الكثير من دماء أبناء القبائل لتمردهم، أو لشكهم فى مبادئه فلا عجب أن يقتل من يهمل فى تنفيذ أحكام الله - انظر ابن تومرت: أعز ما يطلب: ص ٢٥٤.

(٤) عيد على علام: الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على: ص ٢٩٣ - ص ٢٤٠، دار المعارف.

(٥) النويرى: نهاية الأرب: ج ٢٢ مخطوط ص ٩٨، مطبوع ج ٢٤ ص ٢٠.

(٦) المراكشى: المعجب: ص ٣٨٣، ابن عذارى: البيان: ج ٤ قسم ٣ القسم الموحدى: ص ٢٠٥.

اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم وذلك بشياب كحلية وأكمام مفرطة السعة تصل الى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب، ولم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدرا من أيام ابنه عبد الله إلى أن غيره أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة واستشفعوا بكل ما يظنون أن شفاعته تنفعهم فأمر أبو عبد الله بلبسان ثياب صفر، وعمائم صفر، فهم على هذا إلى وقتنا هذا - وهو سنة ٦٢١ هـ<sup>(١)</sup> وتطبيقاً لهذه السياسة فإن كثيرين من اليهود والنصارى غادروا البلاد فراراً بحياتهم<sup>(٢)</sup> فهاجر كثير من اليهود إلى صقلية والمشرق<sup>(٣)</sup>.

وإذا نظرنا للدوافع التي دفعت المرابطين أيضاً لمثل هذا الموقف من أهل الذمة الذين وقفوا إلى جانب نصارى الشمال في موقعة الزلاقة وحملة ابن رذمير<sup>(٤)</sup> ثم نجدهم في العصر الموحدى يساعدون نصارى أسبانيا فيتجسسون على المسلمين لحساب ملوك النصارى، وكثيراً ما أغروهم بحرب المسلمين وغزوهم، ومن هؤلاء نصارى قرطبة الذين هياؤا لالفونسو السابع - ملك قشتالة - احتلال قرطبة سنة ٥٤٠ هـ / واحتلال قلعة رياح سنة ٥٤١ هـ واحتلال ميناء المرية الإسلامى ٥٤١ هـ وذلك قبل أن يتمكن الموحدون من فتح الأندلس، أما اليهود فقد تأمروا مع ابن همشك على الموحدين وفتحوا له باب الرضى

(١) المراكشى: المصدر السابق: نفس الصفحة: المعجب: ص ٣٨٣.

(٢) محمد بحر عبد المجيد: اليهود في الأندلس: ص ٨٨، المكتبة الثقافية، عدد ٢٣٧، سنة ١٩٧٠م، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب، والأندلس: ص ٣٦٨ وفى ذلك يقول القفطى: «ولما نادى عبد المؤمن بن على الكومى البربرى المستولى على المغرب فى البلاد التى ملكها بإخراج اليهود والنصارى منها وقدر لهم مدة وشرط لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه للمسلمين وعليه ومن بقى على رأى أهل ملته فإما أن يخرج قبل الأجل الذى أجله وإما أن يكون بعد الأجل فى حكم السلطان مستهلك النفس والمال، ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون وبقى من ثقل ظهره وشح بأهله وماله وأظهر الإسلام وأسر الكفر» القفطى (جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف): أخبار العلماء بأخبار الحكماء: ج ١ سنة ١٣٢٦هـ، مصر ص ٢٠٩

(3) Goitein, Studies in Islamic History, P. 311.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٠٧ - ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص

بغرناطة ليلاً، فدخل ابن همشك مدينة غرناطة ليلاً وفتك بكثير من الموحدين واشتد في تعذيب المحاصرين<sup>(١)</sup>.

نضيف إلى ذلك أن الموحدين ظهروا في فترة كانت الحرب طاحنة بين الصليبيين والمسلمين وهي فترة الحروب الصليبية فنرى الرحالة ابن جبير يشيد بالإسلام عند الموحدين فيقول: «وليتحقق المتحقق، ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب لأنهم - أي المغاربة - على جادة واحدة كما أنه لا عدل، ولا حق ولا دين على وجه إلا عند الموحدين»<sup>(٢)</sup>.

أما عن موقف الأندلسيين تجاه أهل الذمة فلما نجد أن كتب الحسبة قد حددت تلك العلاقة فيذكر ابن عبدون أنه «يجب أن يمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المشنوعة فإن القسيسين فسقة»<sup>(٣)</sup> كما يجب «أن لا يذبح يهودى لمسلم ويؤمر اليهود أن يتخذوا أوضاعاً لأنفسهم»<sup>(٤)</sup>.

ويرى الجرسفى «أن يمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين فى منازلهم والتكشيف عليهم ومن إظهار الخمر والخنزير فى أسواق المسلمين ومن ركوب الخيل بالسروج والذى بما هو من رى المسلمين»<sup>(٥)</sup>.

كذلك يرى الجرسفى «بأن يمنع أهل الذمة من التزى بما هو من رى المسلمين أو بما هو أبهى وينصب عليهم علماً يمتازون به من المسلمين فى حق الرجال والجلل فى حق النساء»<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١ وما بعدها «ستطاع ابن دهرى صهر مشرف غرناطة أن يجمع حوله طائفة من اليهود المتظاهرين بالإسلام، وعليه اعتمد ابن همشك فى التآمر علو غرناطة، فإن المسيحيين أسهموا بدورهم فى محاولة الإجهار على ظهور الموحدين، انظر المصدر السابق: نفس هامش ٥.

(٢) ابن جبير (أبو الحسن محمد): رحلة ابن جبير، القاهرة، سنة ١٩٥٥ م ص ٤٩.

(٣) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٨.

(٤) ابن عبدون: نفس المصدر، ص ٤٩ (٤) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٢.

(٥) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٢.

(٦) الجرسفى: نفس المصدر والصفحة.

كذلك يرى الجرسفى التشدد مع المسلمين الذين يقومون بخدمة أهل الذمة فقال  
«ويمنع المسلمين أن يحاولوا لهم كل ما فيه حساسة أو إذلال للمسلمين كطرح الكناسة  
ونقل آلات الخمر ورعاية الخنزير وشبه ذلك لما فيه من علو الكفر على الإسلام ويؤدب  
من فعل ذلك<sup>(١)</sup>».

كذلك يرى ابن عبدون «بضرورة قطع ضرب النواقيس في بلاد الإسلام ومنع الأطباء  
اليهود والنصارى من معالجة المسلمين وضرورة مراقبة الكتب التى يبيعها اليهود والنصارى  
للمسلمين ما عدا كتب أهل ملتهم وضرورة حمل القسيسين على الزواج<sup>(٢)</sup> ونستخلص مما  
سبق أن أهل الذمة من النصارى واليهود عاشوا فى ظل دولتى المرابطين والموحدين،  
وأنهم واجهوا تشدداً نتيجة الظروف والأحداث التى مرت بها البلاد وموقف أهل الذمة من  
المسلمين.

(١) الجرسفى: نفس المصدر والصفحة.

(٢) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٥٥ - ص ٥٧.

## شعائر المجتمع الغرناطي في عصر المرابطين والموحدين

### الفقهاء والشعراء وأهل العلم

احتل الفقهاء مكانة رفيعة في المجتمع الأندلسي في عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين فالدولة المرابطية قامت على دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية<sup>(١)</sup>، كما قامت الدولة الموحدية على أكتاف داعية ديني هو المهدي بن تومرت، الذي احتلت تعاليمه الدينية ركنًا هامًا في حياة الموحدين<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد الله بن ياسين كان من تلاميذ واكاك بن زلو اللمطي حتى مر به يحيى الجدالي الذي طلب من واكاك أن يرسل معه فقيهاً ليعلم قومه العلم فأرسل معه عبد الله بن ياسين وكان موصوفاً بالعلم فسار واستقر في بلاد الصحراء، وأخذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى استقامت للمرابطين بلاد الصحراء وما وراءها من بلاد المصامدة والقبلة، ثم خرج بالناس لجهاد برغواطة فغزاهم في عهد أبي بكر بن عمر فقاتلهم حتى استشهد أثناء ذلك سنة ٤٥٠ هـ، انظر القاضي عياض، ترتيب المدارك، دار الحياة، بيروت، ج ٤ ص ٧٨، عن دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية انظر ابن زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٢٨، ص ١٢٩ وما بعدها، ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم ٣ ص ٢٢٨، السلاوي: الاستقصاء: ج ٢ ص ٧ وما بعدها، ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٨١، العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: ج ١ ص ٢٣٢ (مخطوط).

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدي مؤسس دولة الموحدين وهو من جبل السوس الأقصى ببلاد المغرب، نشأ هناك ورحل إلى المشرق طالباً للعلم فزار هناك العراق كما حج بيت الله الحرام وأقام بمكة وقتاً من الزمن درس فيها الحديث وأصول الفقه والدين، بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة ثم رحل عنها إلى مصر فطرده منها وتوجه إلى المهدي ووصلها سنة ٥٠٥ هـ ومن المهدي انتقل إلى بجاية وهو ملتزم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم أخرج منها إلى ملالة - قرية قريبة من بجاية - وهناك التقى بعبد المؤمن بن علي ومنها خرج مع بعض أصحابه إلى مراكش وفي مراكش جرت له مع فقهاء مناظرات فقهية ثم اضطر إلى الهروب من مراكش إلى أغمات ومنها إلى تينمل من بلاد السوس ومن هذه البلدة بدأت حركته تتخذ طابعا عسكريا، توفي في تينمل سنة ٥٢٤ هـ ودفن فيها، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٤٥٦، عن ظهور الموحدين انظر ابن القطان: نظم الجمان: ص ١١١، عن ابن تومرت ودعوته الإصلاحية، انظر المراكشي: المعجب: ص ٢٤٦ - ص ٢٥٥، النويري: نهاية الأرب: ج ٢٤ ص ٢٧٧ - ص ٢٨٩، السلاوي: الاستقصاء ج ٢ ص ٨٨، المراكشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: ص ٢، ص ٣.

من هنا كانت الشريعة هي القاعدة الأساسية التي تركز عليها الدولة في سياستها وبالتالي فإن القائمين على شئون الدين والمستغلين بعلمه احتلوا مكانة مرموقة في المجتمع<sup>(١)</sup> سواء في المغرب أو الأندلس، وأصبحوا يؤثرون في الأحداث السياسية التي تمر بها البلاد، ففقهاء الأندلس هم الذين شرحوا أحوال الأندلس ليوسف بن تاشفين وضرورة الاستيلاء على الأندلس<sup>(٢)</sup> يقول الحميري «وكان يوسف لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله وبالإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيستمع إليهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم<sup>(٣)</sup>»، يقول الأمير عبد الله وهو معاصر للأحداث «وجعلوا - يقصد أهل الأندلس - في شكواويهم فقهاءهم وسائط يقصدون نحوهم، منهم: الفقيه ابن القليعي قد صار خبأؤه بتلك المحلة مغنطيساً لكل صادر ووارد يجد السبيل إلى الطلب للقدر الذي قدره الله<sup>(٤)</sup>».

وعندما استدعى النصارى المعاهدة في غرناطة ابن رذمير للاستيلاء عليها أفتى الفقهاء وعلى رأسهم أبو الوليد بن رشد بتغريب هؤلاء النصارى حتى يأمن شرهم<sup>(٥)</sup> فاحتل الفقهاء مكانة رفيعة في المجتمع وسما قدرهم وعلت منزلتهم وحظوا بالتقدير والتكريم من جانب أمراء المرابطين «وكان - أي يوسف بن تاشفين - محباً للفقهاء والعلماء والصلحاء مقرباً لهم صادراً عن رأيهم متكرماً لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال حياته<sup>(٦)</sup>».

وفي عهد الأمير علي بن يوسف زادت منزلة الفقهاء والعلماء في الدولة «واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء<sup>(٧)</sup>» ويذكر حسن محمود<sup>(٨)</sup> أن الفقهاء زادت مكاتبتهم في الأندلس خاصة بعد قدوم المرابطين إليها

(١) المراكشي: المعجب: ص ٢٦٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ١٠ ص ١٥١ - ١٥٢.

(٣) الحميري: الروض المعطار: ص ٨٦.

(٤) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٩.

(٥) مجهول: الحلل الواشية: ص ٩٠ - ص ٩١.

(٦) ابن أبي روع: الأنيس المطرب ص ١٣٧، ابن المؤقت: السعادة الأبدية: ج ٢ ص ٨٩، ابن

القاضي: جزوة الاقتباس: ص ٣٤٣، السلاوي: الاستقصا: ج ٢ ص ٥٥.

(٧) المراكشي: المعجب ص ٢٣٥.

(٨) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤١٤.

وأصبحت فئة الفقهاء مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة وقد سما قدر القضاة وتمتعوا بسلطان عظيم حين أتاح لهم ولاة الأمر السلطة المطلقة والحكم النافذ الذي لا يرد، فقد وقف القاضى ابن الفراء<sup>(١)</sup> قاضى المرية فى وجه يوسف بن تاشفين حين طلب منه المعونة على أهل المرية<sup>(٢)</sup>، يقول السلاوى «إن أمير المسلمين - يوسف بن تاشفين - طلب من أهل البلاد المغربية والأندلسية المعاونة بشئ من المال على ما هو بصدده من الجهاد وأنه كتب إلى قاضى المرية أبى عبد الله محمد بن يحيى - عرف بابن الفراء - يأمره بفرض معونة المرية، ويرسل بها إليه، فامتنع محمد بن يحيى من فرضها وكتب إليه يخبره بأنه لا يجوز ذلك فأجابه أمير المسلمين «بأن القضاة عندى والفقهاء قد أباحوا فرضها، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرضها فى زمانه» فراجعه القاضى عن ذلك بكتاب يقول فيه: «الحمد لله الذى إليه مآبنا، وعليه حسابنا، وبعد، فقد بلغنى ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخر عن ذلك، وأن أبى الوليد الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوه بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها، فالقضاة والفقهاء إلى النار دون ربانية، فإن عمر اقتضاها فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بوزيره ولا بضجيعه فى قبره، ولا ممن لا يشك فى عدله، فإن كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلة فى العدل فإله تعالى سائلهم وحسيبهم عن تقلدهم فىك، وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم، وحلف أن ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم واحد ينفقه عليهم، فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بحضرة من هناك من أهل العلم، وليحلف أنه ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم، حيثئذ تجب معونته، والله تعالى على ذلك والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته»<sup>(٣)</sup>.

(١) هو أبو عبد الله بن الفراء من فضلاء العصر فى الأندلس، وكان شاعراً مجيداً وهو من فضلاء المائة السادسة وكان يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة، وكانت فيه فطنة ولوذية وذكاء والمعية ذكره ابن غالب فى فرحة الأنفس وذكره صفوان فى زاد المسافر ووصفه ابن الخطيب، انظر المقرئ: نفع الطيب: ج ٣ ص ٨٦.

(٢) السلاوى: الاستقضاء: ج ٢ ص ٥٤، المقرئ: نفع الطيب: ج ٣ ص ٣٨٦ - ص ٣٨٧.

(٣) السلاوى: المصدر السابق: ج ١ ص ٥٣، ص ٥٤.

وفى عهد الموحدين تمتع الفقهاء والعلماء بمنزلة سامية، فالدولة الموحدية قامت على أساس دعوة ابن تومرت الدينية كما سبق أن ذكرت ومن ثم كانت للفقهاء والعلماء بالإضافة إلى طلبه الموحدين مكانة مرموقة فى ظل الدولة الموحدية، فكان الخلفاء الموحدون يكرمون العلماء والفقهاء ويقدرونهم<sup>(١)</sup>، فالخليفة عبد المؤمن كان يقدر العلماء وينزلهم منازلهم اللائقة بهم<sup>(٢)</sup>، يقول المراكشى «وكان عبد المؤمن مؤثراً لأهل العلم محباً لهم، محسناً إليهم يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، ويجرى عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم<sup>(٣)</sup>، وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، حريصاً على مجالسة الفقهاء ومحادثتهم<sup>(٤)</sup>، فاجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله<sup>(٥)</sup>.

كذلك نال الفقهاء والعلماء منزلة كريمة فى عهد الخليفة المنصور الموحدى، يقول ابن أبى زرع «وكان - أى المنصور - محباً فى العلماء وقضياتهم صادراً عن رأيهم... يشهد جوائز الفقهاء والعلماء ويزورهم ويتبرك بهم... وأكرم الفقهاء وراعى العلماء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال<sup>(٦)</sup>.

وهكذا نال الفقهاء والعلماء منزلة كبيرة فى ظل دولتى المرابطين والموحدين وامتلكوا الإقطاعات والأراضى الزراعية خاصة فى المدن الأندلسية ومن أشهر الأسر التى اشتغل أفرادها بالفقه والعلم والقضاء ونالوا شهرة عظيمة وامتلكوا الإقطاعات الواسعة واتسعت

(١) ابن أبى زرع: الأئیس المطرب: ص ٢٠٤، السلاوى: الاستقصا: ج ٢ - ص ١٣٠.

(٢) ابن أبى زرع: المصدر السابق: نفس الصفحة، ابن أبى زرع: «وكان - ابن عبد المؤمن بن على - سخياً كريم الأخلاق محباً فى أهل العلم والأدب مقرباً لهم مشوقاً لوفادتهم منفقاً لبضاعتهم» ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ٢٠٤، عنان: عصر المرابطين والموحدين: القسم الأول، ص ٤٠٢.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٦٩.

(٤) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ٢٠٨.

(٥) المراكشى: المصدر السابق: ص ٣١١.

(٦) ابن أبى زرع: الأئیس المطرب: ص ٢٠٨.

مكاسبهم أسرة ابن أرسالية في غرناطة<sup>(١)</sup> وبنو حسون في مالقة<sup>(٢)</sup> وبنو الحسن في مالقة أيضا<sup>(٣)</sup>.

وكان إذا تولى أحد الفقهاء قضاء موضع أصبحت له الأموال العريضة<sup>(٤)</sup>، وقد جمع بعض الفقهاء بين خطى القضاء والإدارة المالية، يقول ابن عذارى في حديثه عن ابن أبي زهر وعلى بن يوسف قبل نكبته «أنه كان يولى من قبله حاكماً يحكم من حاشيته، وصاحب المدينة من توليته، وشهود البلد بحكمه، وأمر المستخلص وأملاك السلطان جارية على نهيه وأمره بمدينة أشبيلية<sup>(٥)</sup> ونتيجة لما وصل إليه الفقهاء والعلماء من منزلة وسيطرتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أيضا - حقد الناس عليهم من هؤلاء الشعراء ابن البنى<sup>(٦)</sup> حيث هجاهم بقوله:

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج في العاتم<sup>(٧)</sup>

ومن أشهر الفقهاء والعلماء الذين نالوا حظوة في دولتي المرابطين والموحدين من أهل غرناطة، الفقيه أبو القاسم أحمد عمر بن يوسف بن ورد التميمي من أهل المرية وكان متمكناً في الأدب أيضاً وكذلك النحو وعلم التاريخ، كما كان متقناً للتفسير وعلم الأصول،

(١) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة: ج ٢ ص ٥٧٧، ابن الخطيب: أعمال الاعلام: طبعة ليفي بروفنسال، ص ٢٥٥.

(٢) ابن الأبار: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤٢١.

(٣) النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: ص ١١٤، طبعة ١٩٤٨ م.

(٤) انظر أمثلة لذلك في ابن سعيد: ج ٢ ص ٧٢.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٦٥.

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن محمد المشهور بابن البنى من أهل جيان من جزيرة الأندلس وقد ذكره الفتح بن خاقان في القلائد حيث وصفه بالإلحاد والزندقة: انظر ابن خاقان: قلائد العقيان: ص ٣٤٣ وكان العامة والخاصة من الناس تتبعد عن هؤلاء الفقهاء لما يثيرونه من مشاكل وتدخل في أمورهم فما هو أبو بكر بن قزمان إمام الزجل في الأندلس في عصر المرابطين يذكر في زجله أن من مزايا المسكن الذي يسكن فيه أنه لا يوجد في هذا الحي مضايقات «فليس فيه فقهاء ولا حجاج وفيه أراميل جميلات، انظر الزجل» رقم ٨٧ ديوان ابن قزمان، ابن سعيد: المغرب ج ١ ص ٣٨٢، وأيضاً عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس، ص ٧.

(٧) المراكشي: المعجب: ص ٢٣٥، المقرئ: نفع الطيب: ج:

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج في العاتم.

انتهت إليه رئاسة الفقه المالكي، تولى القضاء في غرناطة فظهرت كفايته وعدله وحسن سيرته، توفي بالمرية في رمضان سنة (٥٤٠ هـ / ١٤٤٦ م<sup>(١)</sup>) وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعافري، وكان من الفقهاء والوزراء كما كان متمكناً من الفقه والحديث، بارعاً في الأدب ولى مستخلص غرناطة وأشبيلية أيام الأمير علي بن يوسف فقام على إدارتها بكفاية وحزم، توفي سنة ٥٩٨ هـ (١١٢٤ م)<sup>(٢)</sup> ومنهم الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من أهل غرناطة، برع في علوم القرآن والسنة وكان فقيهاً متبحراً وأديباً واسع المعرفة، متقدماً في فنون عديدة، وتولى القضاء بغرناطة والمرية وألف في التفسير واشتهر بالمغرب والأندلس وألف كتاباً في الأنساب وانتهى اليها من مؤلفاته «معجم شيوخه» وتوفي بلورقة سنة ٥٤٢ هـ / ١٩٤٧ م<sup>(٣)</sup> وكان فوق ذلك أديباً ينظم الشعر.

وأحمد بن حسن بن سيد الجراوي من أهل مالقة ويعرف بابن سيد، درس الحديث واللغة والأدب على أقطاب عصره وكان بارعاً في اللغة وفي النحو وله حظ في قرض الشعر، توفي ابن سيد سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م<sup>(٤)</sup>.

ومن الفقهاء والمتكلمين أيضاً، صالح بن أبي صالح خلف بن عامر الأنصاري الأوسى من أهل مالقة، درس بها على أعلام عصره ثم رحل إلى تلمسان ثم إلى تونس، والمهدية وأخذ عن أقطابها سماعاً وإجازة، وكان فقيهاً متمكناً من علم الكلام، توفي في رمضان سنة ٥٨٦ هـ<sup>(٥)</sup>.

ومحمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد الأنصاري من أهل مالقة أيضاً كان إماماً في الحديث، مقدماً فيه، وبرع في المعرفة بسرد المتون والاسانيد، وتميز الرجال، سمع من أبي بكر بن العربي وأكثر عنه واختص به، وعن أبي مروان بن بونه وغيرهم وكانت له فوق ذلك مشاركة في اللغة، شديد التمسك بالعدل، مكرماً لطلاب العلم، واستدعى في أواخر

(١) انظر ترجمة في الإحاطة (ابن الخطيب): ج ١ ص ١٦٩ - ص ١٧١.

(٢) ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ٦٤٩.

(٣) الضبي: بغية الملتبس (الملكية الأندلسية) ترجمة رقم ١١٠٣.

(٤) ابن الأبار: التكملة: طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦، ضمن المكتبة الأندلسية ترجمة رقم ١٨٢.

(٥) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ١٨٨٧.

أيامه من الخليفة يعقوب المنصور إلى مراكش ليسمع بها فقصد إليها، ولكنه توفي بها بعد قليل في شعبان سنة ٥٩٠ هـ ومولده بمالقة سنة ٥١١ هـ (١).

ومحمد بن أبي خالد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن... ابن محمد بن أبي رمنين من أهل غرناطة كان من ألمع فقهاء عصره وأخذ عن أبي مروان بن قزمان وأبي القاسم بن بشكوال، وغيرهم من أقطاب عصره، ولى قضاء غرناطة ثم قضاء مالقة وكان عارفاً بتاريخ من نزل بالأندلس قديماً من العرب، حدث عنه جماعة ممن كانت لهم مكانة رفيعة فيما بعد، ومنهم أبو سليمان بن حوط الله وأبو القاسم الملاحي، وأبو الربيع بن سالم وغيرهم توفي مصروفاً عن القضاء في شهر ربيع سنة ٦٠٢ هـ وكان مولده بغرناطة سنة ٥٣٣ هـ (٢).

هكذا أصبح الفقهاء طبقة تسيطر على مقاليد الأمور في الدولة، وصاروا يتدخلون في كل شئونها حتى أن بعضهم قاموا بالثورات في وجه المرابطين لما أحسوا بعجز الدولة عن حماية الأندلس محاولين بذلك الاستقلال عن المرابطين، ومن أشهر هذه الثورات:

### ثورة ابن أضحي بغرناطة

قامت هذه الثورة في نفس الوقت الذي اشتعلت فيه الثورات ضد حكم المرابطين في الأندلس وقد أشعل نيران هذه الثورة قاضي غرناطة أبو الحسن علي بن عمر بن أضحي (٣)، ولكن المرابطين استطاعوا إخماد الثورة واستعادوا سيطرتهم على غرناطة (٤).

هذا وبالإضافة إلى الفقهاء والعلماء استخدم المرابطون والموحدون الكتاب الأندلسيين وقربوهم إليهم ونبغ في تلك الفترة عدد من الكتاب والشعراء والأطباء وعلماء النبات والرياضة من أهل غرناطة نالوا مكانة رفيعة في المجتمع حيث قربهم أمراء المرابطين وخلفاء الموحديين، ومن هؤلاء ابن الصيرفي يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الصيرفي، وكان من أعلام العصر المرابطي في البلاغة والأدب

(١) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ٥٩٦.

(٢) ابن الأبار: التكملة ١٥٣٠.

(٣) ولد ابن أضحي في مدينة المرية ٤٩٢ هـ وولى فيها القضاء بعد قاضيها ابن الفراء، انظر ابن

الأبار: ج ٢ ص ٢١١.

(٤) انظر تفاصيل هذه الثورة في ابن الأبار: الحلة السيرة: ج ٢ ص ٢١١ - ص ٢١٤.

والتاريخ وكان من الشعراء المطبوعين كتب بغرناطة للأمير تاشفين بن علي، وتوفي في غرناطة سنة ٥٧٠ هـ (١).

وعلى بن عبد العزيز بن الإمام الانصاري، سرقسطي الأصل سكن غرناطة وعاش بها، وكان من أهل البلاغة والفصاحة ووزر للأمير أبي طاهر ثم ابن يوسف أيام ولايته لغرناطة ثم كتب من بعده لأخيه الأمير علي بن يوسف (٢).

ومن هؤلاء أيضاً أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد، من بني سعيد العنسي سادة قلعة يحصب من أعمال غرناطة، وهو بيت من بيوتات الأندلس المشهورة، وينتمي إليه قواد ووزراء وقضاة وكتاب وشعراء ومنهم مؤلفو كتاب «المغرب في حلى المغرب» وشغف أبو جعفر بالأدب والشعر منذ صغره فحفظ كثيراً من شعراء القدماء ومدح الخليفة عبد المؤمن بن علي وهو بجبل طارق سنة (٥٥٦ هـ / ١١٦١ م) وكانت هذه القصيدة بداية مجده الحقيقي، وعندما تولى غرناطة السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن بن علي، استوزر أبا جعفر وحظى لديه ثم ساء ما بينهما بسبب تنافسهما في حب الشاعرة الغرناطية الحسنة حفصة بنت الحاج الركوني (٣)، وأخذ السيد أبو سعيد يترقب الفرص لنكته، وأبو جعفر يتحفظ كل التحفظ، وانتهى الأمر بأبي جعفر إلى أن عمل مع أخيه وبعض أقاربه على الانضمام إلى ابن مردنيش ولحق أخوه وأقاربه بقلعتهم في بني يحصب، ولكنه جبن وتأخر ثم فر إلى مالقة ليركب منها البحر إلى بلنسية ولكن عمال السيد اكتشفوا أمره وقبضوا عليه، فأمر بقتله صبراً وكان مصرعه في جمادى الأولى سنة (٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م) (٤).

أما أبو بكر بن قزمان أمير الزجل الأندلسي (٥) فيقول عنه ابن سعيد إنه كان في أول

(١) ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥، ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ١١٨ - ص ١١٩، ترجم له ابن الأبار في التكملة ص ٧٢٣.

(٢) ابن الخطيب: نفس المخطوط لوحة ٣٣١.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ١ ص ١٣٨ - ص ١٣٩، ترجم لها ابن دحية في المغرب ص ١٠ وياقوت: معجم الأدياء ج ١٠ ص ٢١٩، المقرئ: نفع الطيب: ج ٢ ص ٤٩١ - ص ٤٩٤، ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٢١٤ - ص ٢١٨.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٢١٤ - ص ٢١٨.

(٥) ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٠٠، ص ١٦٧ «الاهتاب».

شأنه مشتغلاً بالنظم المعرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره، كابن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لا يضارعه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس (١).

خدم ابن قزمان في شبابه المتوكل بن الأقبس صاحب بطليوس ونال لديه حظوة وجاها فلما انتهت دولتهم، عاد إلى قرطبة وتردد بينها وبين غرناطة، توفي سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م (٢).

وقد كان الشعراء يتفاوتون في وضعهم الاجتماعي تفاوتاً يجعلهم على وجه التقريب في ثلاث طبقات، طبقة الشعراء الذين بلغوا أعلى المناصب (٣) مثل أبي جعفر أحمد بن عبد الملك سعيد من أمراء قلعة يحصب في غرناطة (٤) وشعراء منتحون، أي يلزم الواحد منهم بلاط أحد الأمراء وينتمى إليه، ويأخذ منه رسماً شهرياً (أو سنوياً) مقرراً، أو جوائز غير موقوتة بوقت (٥)، وشعراء جوالون وهم الذين يطرفون على الأمراء مادحين متكسبين بأشعارهم وهم أكثر عدداً من الطبقتين السابقتين (٦).

وفي عصر المرابطين تراجعت منزلة الشاعر الاقتصادية والاجتماعية حيث لم يستطيع أن ينافس رجل السيف من الملمث والفقيه والكاتب فأبعد الفقه الأدب حيث أصبحت الكلمة العليا للفقهاء (٧).

وفي ذلك العصر نجد ابن قزمان يعبر في أرجاله عن مطالبه من قمع وشعير وخروف العيد (٨).

- (١) ابن سعيد: المصدر السابق: ج ٢ نفس الصفحات، انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٣.
- (٢) راجع في ترجمة ابن قزمان: قلائد العقيان: ص ١٨٧، طبعة القاهرة، ١٢٨٣ هـ، انظر عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس: ص ٦٦ وما بعدها.
- (٣) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ص ٨٢.
- (٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٢١٤ - ص ٢١٨.
- (٥) إحسان عباس: نفس المصدر: ص ٨٢.
- (٦) إحسان عباس: نفس المصدر: ص ٨٣.
- (٧) انظر إحسان عباس: المرجع السابق نفس الصفحة.
- (٨) انظر: عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس، ص ٦٦ وما بعدها، إحسان عباس: المصدر السابق: ص ٢٦٨، سيأتي الحديث عن ابن قزمان في الحديث عن الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة.

## رجال الدولة:

## القادة والأمراء.

تناولت في الباب الأول كيف أن القيادة السياسية انحصرت في يوسف بن تاشفين وبنيه من بعده، كذلك انحصرت تلك القيادة في عصر الدولة الموحدية في عبد المؤمن بن علي وبنيه من بعده، ومن هنا أصبحت الأسران تتمتعان بالنفوذ والسياسة في بلاد المغرب والأندلس.

وأصبحت قبيلة لمتونة تتمتع بمكانة مرموقة بين قبائل البربر لأن الطبقة الحاكمة تنتمي إلى هذه القبيلة، بالإضافة إلى قبيلة صنهاجة ومنهم جدالة ومسوفة ولمطة وقد أشار إلى ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله «وبعث - أي يوسف بن تاشفين - سنة ٤٧٠ هـ إلى صحراء لمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليهم من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم في القدوم إليه فوفد منهم جموع كثيرة ولاهم الأعمال، وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال فاكسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال وكثروا بكل مكان وساعدهم الوقت والزمان وكثرت جموعهم وتوفرت عساكرهم»<sup>(١)</sup> هذا وقد تمتع أبناء أسرة يوسف بن تاشفين وبنيه بوضع السيادة في المدن المغربية والأندلسية على حد السواء، يقول ابن خلدون: «ثم اقتسم - أي يوسف بن تاشفين - المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه»<sup>(٢)</sup>.

فكان ينوب في أغلب الأحيان عن أمير المسلمين في الأندلس أمير من الأسرة المالكة أو من لمتونة عامة، فقد تولى حكم غرناطة من الأسرة الحاكمة تميم بن يوسف بن تاشفين وتاشفين بن علي بن يوسف وسير بن الحاج<sup>(٣)</sup> وعبد الله بن مزدلي<sup>(٤)</sup>.

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٣٣.

(٢) ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ١٨٥.

(٣) مجهول: نبذة تاريخية في أخبار البربر: ص ٨٢، ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤ ص ٤٨، ص ٤٩، السلاوي: الاستقصا: ج ٢ ص ٤٨.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق: ج ٤ ص ٥٦.

واتبع الموحدون نفس السياسة حيث استأثر بنو عبد المؤمن بالخلافة وشغل بعض أفراد الأسرة منصب الوزارة<sup>(١)</sup>.

وقد بلغت قبيلة كومية - وهى القبيلة التى ينتسب إليها الخليفة عبد المؤمن بن على - مكانة عظيمة وأصبحت من أعظم قبائل الموحدين واحتلت مكان الصدارة فى بلاد المغرب والأندلس، يقول المراكشى «ثم قبيلة عبد المؤمن تسمى كومية وهى قبيلة كبيرة وهى قبيلة كثيرة العدد جمة الشعوب لم يكن لها فى قديم الدهر ولا فى حديثه ذكر فى رياسة ولا حظ من نباهة، إنما كانوا أصحاب فلاحه ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب وسوى ذلك من سقط المتاع فتبارك المعز المذل المعطى المانع، فأصبح القوم وليس فوقهم أحد ببلاد المغرب ولا تطاول أيديهم يد يكون عبد المؤمن منهم»<sup>(٢)</sup> هذا وقد تولى حكم غرناطة عدد من أبناء وأقارب الخليفة<sup>(٣)</sup>.

يقول المراكشى: «وأقام عبد المؤمن بجبل الفتح مرتباً للأمور ممهداً للملكة، وأعيان البلاد يفدون عليه كل يوم، إلى أن تم له ما أراد من إصلاح ما استولى عليه من جزيره الأندلس»

فولى مدينة أشبيلية وأعمالها ابنه يوسف، وهو الذى ولى الأمور بعده، وترك معه بها أشياخ الموحدين وذوى الرأى والتحصيل منهم من يرجع إليه فى أموره، ويعول عليه فيما ينويه.

وولى قرطبة وأعمالها أبو حفص عمر إيتى، وولى غرناطة وأعمالها ابنه عثمان بن عبد المؤمن، يكتى أبا سعيد، وكان من نبهاء أولاده ونجبائهم وذوى الصرامة منهم، وكان محباً فى الأدب، مؤثراً لأهله، يهتز للشعر ويشيب عليه، اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده»<sup>(٤)</sup>.

(١) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٣٣٠، اتخذ عبد المؤمن بن على ابنه عمر وزيراً له، انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٦٧.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٤٢٣.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٤٢٣.

(٤) المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

ومع اتساع رقعة الدولة المرابطية والموحدية وزيادة مواردها بدأ الأمراء والسادة ينفقون عن سعة فيذكر الدكتور حسن محمود أن هؤلاء الأمراء والسادة قد اندمجوا في الحياة الاجتماعية في الأندلس، هذه الحياة التي كانت قد بلغت شأنًا عظيمًا من الرقي والأبهة في أواخر أيام ملوك الطوائف، وتآلق نجم الحضارة في الأندلس بصورة لم تكن معهودة من قبل، فتفوق أهل الأندلس في الأدب والفن والفلسفة، فلما فتحت بلاد الأندلس التقت حضارتان أو لوانان من ألوان الحياة الاجتماعية: لون أندلسي رفيع ولون مغربي صحراوي أقل رقيًا وتفوقًا وكان منطق الأشياء يقضى بزناً تتغلب الحياة الأكثر رقيًا فتصرع الحياة الأكثر ضعفًا، وهذا هو ما حدث، فقد صارت الحياة الأندلسية الرفيعة هذه الحياة الاجتماعية المغربية فتغلبت عليها وأثرت فيها، فقد استطاع الجيل الأول من هؤلاء الأمراء أمثال يوسف بن تاشفين وسير بن أبي بكر وعبد الله بن عائشة أن يقاوموا هذا التيار الجديد الوافد إليهم، ولكن هذه المؤثرات لم تستطع أن تصمد طويلاً بعد وفاة يوسف، إذ تغلبت الحياة الأندلسية بمتعتها وبهجته ومسراتها، ولم يكن من الممكن أن يقاوم المرابطون هذه المتع طويلاً، فقد عاشوا في ظلها وانغمسوا في حياتها واضطروا أن يعيشوا كما كان الناس يعيشون في الأندلس فكانوا يحيون حياة لا تختلف عن الحياة التي كان ملوك الطوائف يحيونها<sup>(١)</sup>، وفي العصر الموحدى نجد السادة الموحديين يحيون حياة اللهو والترف فما هو السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة يحيا حياة الترف واللهو<sup>(٢)</sup>، فقد تنافس مع أبي جعفر بن سعيد من أمراء قلعة يحصب على حب الشاعرة الغرناطية حفصة الركونية<sup>(٣)</sup>.

### المرأة الغرناطية

واحتلت المرأة الغرناطية مكانة مرموقة في المجتمع الغرناطي في عصر المرابطين والموحدين وصارت لها مشاركة واضحة في المجتمع، يقول ابن الخطيب «وحریمهم حریم جميل، موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الثر»

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٢١ - ص ٤٢٢.

(٢) المقرئ: نفع الطيب: ج ٢ ص ٣٨٥.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ١ ص ١٣٨ - ص ١٣٩، ابن الخطيب: الإحاطة: ج

وحقة الحركات ونبيل الكلام وحسن المجاورة إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتفيس بالذهبيات والديساجيات والتماجن في أشكال الحلى إلى غاية نسال الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بستره ولا يسلبهم خفى لطفه بعزته وقدرته»<sup>(١)</sup>.

وهنا نجد أن ابن الخطيب يصف نساء غرناطة وصفاً دقيقاً وهو شديد الإعجاب بهن، لا يكاد يأخذ على أوصافهن إلا ميلهن إلى القصر<sup>(٢)</sup>.

ومن النساء اللاتي ظهرن في عصر المرابطين ثم الموحديين من نساء غرناطة نزهون القلاعية<sup>(٣)</sup> ومن الشواعر اللاتي ظهرن في عهد عبد المؤمن بن علي، الأديبة الشاعرة المرية حفصة بنت الحاج الركونية الغرناطية<sup>(٤)</sup>، وقد مدحت الخليفة عبد المؤمن بن علي<sup>(٥)</sup>.

أما المرأة المرابطية فكانت تتمتع بوضع كريم في القبيلة الصنهاجية لأن المرأة المرابطية كانت تشترك في مجلس القبيلة وتشارك برأيها في الأمور الهامة<sup>(٦)</sup>. فكان المرابطون يستعمون للنساء ويوكلون أمورهم لهن<sup>(٧)</sup>، فكانوا يسمون الرجل باسم أمه،

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٩.

(٢) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٧م - ١٣٧٦ هـ ص؟.

(٣) «فزهون القلاعية من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح، والانطباع الزائد والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فاتق، وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذكراتها ومرسلتها» انظر ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٢١، وابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٤٢٦.

(٤) كانت حفصة هذه تشتهر بالحسب والجمال والمال وكانت أستاذة بالإضافة إلى شهرتها الأدبية وقد طال عمرها حتى علمت نساء الخليفة يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن - توفيت بمرآش سنة ٥٨٦ هـ، انظر ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٣٨، ياقوت: معجم الأدباء: ج ١٠ ص ٣١٩.

(٥) ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ١٣٨، المقرئ: نفع الطيب: ج ٤ ص ١٧١ - ص ١٧٢.

(٦) حسن محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٥٢.

(٧) النويرى: نهاية الأرب: ج ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٠، المراكشى: المعجب: ص ٢٤١.

فكان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين وهو أخو أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، وكان من أعظم قادة المرابطين يعرف بابن عائشة<sup>(١)</sup>، وكذلك عبد الله ابن فاطمة من أبرز قادة المرابطين وهو الذى دخل فى كثير من المعارك بالأندلس وأحرر فيها عدة انتصارات وكان معروفاً بابن فاطمة<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن المرأة كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية فى عصر المرابطين سواء فى بلاد المغرب أو الأندلس حتى أنها كانت تختلط بالرجال فى الأماكن العامة والمناسبات المختلفة مما جعل ابن عبدون ينهى عن ذلك بقوله «لا يترك الشباب أيام العيد يجلسون فيها على الطريق لاعتراض النساء ويجد فى منع ذلك المحتسب والقاضى يجب أن يمنع السلطان أن يجلس على أفنية القبور لمرادة النساء ويتعهدن بذلك كل يوم مرتين يفعل ذلك المحتسب»<sup>(٣)</sup>.

كما يرى ابن عبد الرؤوف «بمنع النساء من الوقوف على أبواب الدور لما فيه من الكشف وعدم الاستتار»<sup>(٤)</sup> كذلك كانت المرأة المرابطية تتمتع بنفس الحرية فى بلاد المغرب، مما جعل ابن تومرت يستنكر هذا الوضع فى أكثر من مكان<sup>(٥)</sup>، فعند نزوله بجايه فى عيد الفطر وجد اختلاط الرجال بالنساء فقام للتفريق بينهما بعصاة<sup>(٦)</sup>، يقول ابن القطان «ثم حضر - أى ابن تومرت - عيداً فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحمل فزجروهم وغير ذلك عليهم، فوقعت لأجل ذلك نفرة استطال فيها الشر وسلبت النساء حليها وقام الهرج فسأل العزيز عن سبب ذلك فعرف بأنه لا سبب له إلا الفقيه السوسى»<sup>(٧)</sup>.

وفى عهد الموحدين لم تتمتع المرأة بمثل النفوذ والحرية التى تمتعت بها فى عصر

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٨.

(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ٨.

(٣) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٢٧.

(٤) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ٣١١.

(٥) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٣٥٣.

(٦) البيذق: أخبار المهدي: ص ٥٢.

(٧) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٤١.

المرابطين فكان ابن تومرت يمنع اختلاط النساء بالرجال كما سبق أن ذكرت، فقد اتبع الموحدون أحكام الدين بشأن حماية المرأة وصيانتها إلا أن هذا الحد من الحرية لم يمنع الموحدين في مناسبات مختلفة من إظهار تقديرهم واحترامهم للمرأة<sup>(١)</sup>، فقد اشتهر المنصور الموحدى بإنصافه للمرأة، يقول ابن خلكان في صفات المنصور: «ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق»<sup>(٢)</sup> ونالت المرأة ابتداء من عهد عبد المؤمن بن علي قسطاً وافراً من التعليم مثل الأميرة زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن التي درست علوم الدين واللغة، ونبغت في علم الأصول، وكانت هذه الأميرة، عالمة صائبة الرأي، وقد استطاعت أن تدفع بالمرأة المغربية إلى ميدان العلم والمعرفة<sup>(٣)</sup>.

(١) حسن على حسن: الحضارة في المغرب والأندلس: ص ٣٥٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٦ ص ١٠.

(٣) ابن الأبار: التكملة: ترجمة ٢١٢٢ «من مناقب عبد المؤمن بن علي أن جعل التعليم الابتدائي إجبارياً مفروضاً على كل مكلف من الرجال والنساء» ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية: ص ١٣١ - ١٣٧، هذا ولقد أثرت الحروب التي اتصلت في تاريخ الأندلس بين المسلمين ونصارى أسبانيا - وخاصة منذ عصر المرابطين والموحدين وحتى سقوط الأندلس (غرناطة) في أيدي نصارى أسبانيا - على المرأة وحياتها فقد زاد عدد الأراامل في الأندلس زيادة ملحوظة عن أي قطر من الأقطار الإسلامية الأخرى.

عن تلك الظاهرة انظر ابن سعيد: المغرب: (رجل ابن قزمان) السالف الذكر، ص ٣٨٢، الزجل رقم ٨٧، عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس: ص ٧٠ - ص ٧١ هامش رقم ٢.



فلما قرأ الآيات قال: لا ينعف الله بما لا يكون مركبا في الطبع ماثلة له النفس، ثم وقع على ظهر ورقته: قد تركنا سراح أنسك وألحقنا يومك بأمسك<sup>(١)</sup>، يقول المقرئ.

«ولما رجع إلى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد غمره إحسانا وبراً، وولى السيد أبو سعيد غرناطة فطلب كاتباً من أهلها فوصف له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه، فاستكتبه، فطلب منه أن يعفيه، فأبى إلا إن شرب أبو جعفر يوماً مع خواصه، وخرج ثانياً يوم إلى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا إلى خيمة ناطور، وجعلوا يصطادون ويشربون على ما اصطادوا، فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما في نفسه<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كثر في إنتاجهم الأدبي ما يعبر عن حياة هؤلاء المترفين من الخاصة حياة اللهو والخمر والطرب ومجالس الأنس ومطارحتهم الأشعار في منتزهات الأندلس من بينها غرناطة، حيث عدد هؤلاء المترفون من الأدباء محاسن غرناطة فها هو ابن سعيد صاحب المغرب يصف وادي مالقة<sup>(٣)</sup>، وكان أصحاب الجاه الذين يحيون تلك الحياة ويجهرون

= وللملاح عيون تميل  
وكأس رامي ما إن  
فأعفنى وأقلنى  
مما في الوزارة حظ  
المقرئ: نفع الطيب: ج ٤ ص ١٧٩.

(١) المقرئ: المصدر نفسه: ج ٤ ص ١٨٠.  
(٢) ويوم تجلى الأفق منه بعنبر  
وقد بقيت فينا من الزمس فضلة  
ركبنا له صباحاً وليلاً وبعضنا  
وملنا وقد لنا من الصيد سؤلنا  
فقل لحريص إنى مقيد  
المقرئ: المصدر السابق: ج ٤ ص ١٨٠ - ص ١٨١.

المقرئ: نفع الطيب: ج ٤ ص ١٨٠.  
(٣) بوادي رية فلانى عرج فلانى  
وهات الخمر صرفاء دون مزج  
ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ٤٤٣.

نحو الملاحه  
تمل منى راحه  
مما رأيت صلاحه  
لمن يريد ارتياحه

من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص  
من السكر تغرينا بمتهب الغرص  
أصيلاً وكل إن شدا جلجل رقص  
على اللذات والبرد قد قرص  
بخدمته لا يجعل الباز في القفص

رأيت الحسن عنه لا يميل  
بحيث الماء والظل والظليل

بشرب الخمر دون حرج أو خوف وكان آخرون منهم يتخرجون من شرب الخمر وإظهار ذلك مثل ابن سيد اللص الذى تحرج الجلوس فى مجلس شراب عند أبى جعفر بن سعيد<sup>(١)</sup>، وكان بعض السادة الموحدين لا يكتفون بالمجاهرة بشربها فحسب، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شربها كالذى حدث للأديب الرحالة محمد بن جبير الذى استدعاه السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن، صاحب غرناطة لأن يكتب كتاباً عنده وهو على شربه، فمد يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض وقال: يا سيدى ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعا، فلما رأى العزيمة شرب سبع كئوس، فمأله السيد الكأس من دنائير سبع مرات وصب ذلك فى حجره<sup>(٢)</sup> ولم يكتف الشعراء بوصف الخمر وإنما جاوزوا ذلك إلى وصف كئوسها وزجاجتها ومجالس شربها وامتزج شعرهم هذا بوصف الرياض والمنتزهات فهذا جودى بن جودى يصف لنا لهوه بين الحدائق والأزهار، ثم يصف الخمرة وإبريقها<sup>(٣)</sup>.

وكان أبو الحسن رضى بن رضا المالى (توفى ٩٥٠ هـ / ١١٩٣ م) ينهك فى شرب الخمر حتى أنه لا يكاد يصحو منها، وكان يقول «أنى أمحق العمر سكرًا»<sup>(٤)</sup>.

كما كان هؤلاء الخاصة يتمتعون بالنزهة بالزوارق فى الأنهار وخاصة أنهار المرية فيها

(١) المقرئ: نفع الطيب: ج ٤ ص ١٩٢ - ص ٢٠٣، انظر ترجمة ابن سيد اللص، المقرئ: المصدر السابق: ج ٤ ص ٢٠٣، انظر ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ٢٥٢، ابن دحية: فى أشعار المغرب: ص ٢٠٠.

(٢) هو صاحب الرحلة المشهورة ولد سنة ٥٤٠ هـ ودرس الفقه والحديث بشاطبة ويقال إنه اضطر وهو يعمل مع عثمان بن عبد المؤمن إلى شرب الخمر فأزمع الحج إلى بيت الله ليكفر عنه خطيئته وقد رحل إلى المشرق مرتين: الأولى سنة ٥٨٧ هـ وهى التى كتب فيها رحلته والثانية سنة ٦١٤ هـ وتقدم فى صناعة القريض وصناعة الكتابة، وحمل عنه شعره فى الزهد وغيره وهو كثير مدون، توفى وهو ابن خمس وسبعين، انظر عنه المقرئ: نفع الطيب: ج ٢ ص ٣٨١ وما بعدها، ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ٣٨٤ هامش رقم ١، انظر ترجمة ابن جبير فى ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة، ص ٥٩٨ طبعة مصر.

(٣) شربنا وبرد الليل يطول صحبه وقد هفت ورق الحمام بدوحها مشعشعة رقت وراقت كأنما إذا قهقه الإبريق قالوا تكلمت

ابن سعيد: المصدر السابق: ج ٢ ص ١١٠.

(٤) ابن سعيد: المصدر السابق: ج ١ ص ٤٢٦.

هو الشاعر أبو الحسين محمد بن سفر يقول في وصف زوارق الأنهار وهي مملوءة بالفتية يتزهون فيها ويلعبون<sup>(١)</sup>.

وقد صورت الرسائل الأدبية وخاصة المراسلات الإخوانية جانباً مهماً من العلاقات الاجتماعية التي كانت تربط هؤلاء الخاصة بعضهم ببعض، فقد كان هؤلاء الخاصة ذوى الميول المتقاربة تربطهم أواصر المودة والمحبة، فكانوا يدعون بعضهم البعض لمجالس الأُنس بأن يرسلوا دعوات أدبية مملوءة بالشعر أو النثر تدعو لمجلس أنس وتحت فيه على المجيء لهذا المجلس وتذكر ما سيتوفر في تلك الأمسية من مباحج وسرور<sup>(٢)</sup> أو تشير إلى بعض النوادر التي حدثت في تلك الأمسيات ومن هذه المراسلات الإخوانية الأدبية قصيدة صنعها بعض الأدباء وكانوا قد اجتمعوا بغرناطة منهم محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندى<sup>(٣)</sup> (توفي ٨٥٤ هـ / ١١٨٨ م) وغيرهما من الفضلاء والرؤساء، فأرادوا يوماً أن يخرجوا «لنجد أو لحوز مؤمل» وهما متزهان من أشرف وأظرف متنزهات غرناطة، ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع في ظاهر البلد، وكان الرصافي قد أظهر الزهد وترك الخلاعة، فقالوا: «ما لنا غنى عن أبي جعفر بن سعيد، اكتبوا له» فصنعوا له هذه الأبيات، وكتبوها له وجعلوا تحتها أسماءهم<sup>(٤)</sup> فركبوا إلى جنته وما زالوا بالرصافي إلى أن شرب لما غلب عليه الطرب، فجواب أبي جعفر بن سعيد في هذه المراسلة يصور لنا واقع هذه الحياة التي كانت تحياها هذه الطبقة فهي حياة مترفة بعيدة عن التقشف والزهد والحرمان<sup>(٥)</sup>.

(١) لو أبصرت عينك زورق فتية  
وقد استداروا تحت ظل شعاره  
ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ٢١٢.

(٢) حكمة الأوسى: الأدب في عصر الموحدين: ص ١٧٩.

(٣) انظر ترجمة الكتندى في المغرب: ج ٢ ص ٢٦٤ وابن الأبار: التكملة: ص ٥٣٥، وأدباء مالقة: ورقة ٢٧.

(٤) بعثنا إلى رب السباحة والمجد  
يسعدنا عند الصبيحة في غد  
نسرح منا أنفسنا من شجونها  
المقرئ: نفع الطيب، ج ٣ ص ٥١٣

(٥) المترئ: نفع الطيب: ج ٣ ص ٥١٣، ص ٥١٤، ص ٥١٥، وما بعدهما.

## الحياة الاجتماعية لطبقة العامة من أهل غرناطة

### عادات أهل غرناطة

يذكر ابن الخطيب في كتابه اللوحة البدرية وصفاً للعامة من أهل غرناطة وحياتهم الاجتماعية إذ يقول «أحوال أهل هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنحل فيهم معروفة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية»<sup>(١)</sup>.

«وعادة أهل هذه المدينة (غرناطة) الانتقال إلى حلل العصور أو ان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفحوص»<sup>(٢)</sup>.

وكان أهل غرناطة مضرب الأمثال في النظافة، يبالغون في العناية بنظافة أبدانهم وثيابهم ويكثر من الاستحمام، «وفيهم من لا يكون عنده إلا قوت يومه فيطويه صائماً ويتاع صابوناً يغسل به ثيابه»<sup>(٣)</sup> وهم أهل تدبير واحتياط في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال<sup>(٤)</sup>.

وكانت عادة التسول من العادات المستقبحة عندهم يقول المقرئ «وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدررزة»<sup>(٥)</sup> التي تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى نهاية، وإذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب، سبوه وأهانوه فضلاً عن أن لا يتصدقوا عليه فلا تجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عنرة»<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن الخطيب: اللوحة البدرية: ص ٣٨، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٤.

(٢) «جمع فحص وهو المرج» انظر ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة هامش رقم ٢.

(٣) المقرئ: نفع الطيب، ج ١ ص ٢٢٠.

(٤) المقرئ: نفع الطيب: ج ١ ص ٢٢٣.

(٥) الدررزة من الفارسية «دررزة» أى للكدية والشحذ (المقرئ: نفع الطيب: ج ١ ص ٢٢٠ هامش

رقم ١).

(٦) المقرئ: المصدر السابق: ج ١ ص ٢٢٠ وما بعدها.

والى جانب المتسولين كان هناك بعض القمارين والخمارين الذين يقومون باستدراج البعض للعب الورق أو بيع الخمر لهم للاستيلاء على ما معهم من نقود<sup>(١)</sup>.

ويرى الجرسفى أن يمنع ذلك وينهى عنه<sup>(٢)</sup>، كما يرى الجرسفى أيضاً «منع السفلة والصبيان من الرش بالماء فى الأسواق والشوارع فى يوم المهرجان واللعبة بالمقارع والعصى فى الشارع»<sup>(٣)</sup>.

وفى يوم الجمع والأعياد يبدأ خروج النساء لزيارة المقابر فيتعرضون للمضايقات من جانب الشباب الذين تزدهم بهم الطرقات<sup>(٤)</sup>.

وينهى ابن عبدون عن هذا بقوله «لا يترك الشبان أيام العيد يجلسون فيها على الطرقات لاعتراض النساء، ويجد فى منع ذلك المحتسب والقاضى، يجب أن يمنع السلطان أن يجلس على أفنية القبور لمرادة النساء، ويتعاهد ذلك كل يوم مرتين، يفعل ذلك المحتسب»<sup>(٥)</sup>.

كما يرى ابن عبد الرؤوف «بمنع النساء من الوقوف على أبواب الدور لما فيه من الكشف وعدم الاستار»<sup>(٦)</sup>.

كما نهى ابن عبدون عن دخول النساء المسلمات إلى الكنائس «فإن القسيسين فسقة»<sup>(٧)</sup> «كما يمنع الإفرنجيات من الدخول فى الكنيسة إلا فى يوم فضل، أو عيد فطنهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين، وما منهم واحد إلا وعنده اثنتان أو أكثر يبيت معهن، وقد صار هذا عرفاً عندهم، لأنهم حللوا والحرام استحرموا الحلال»<sup>(٨)</sup>.

وكانت الطرقات لا تخلو من الناس الذين يشغلون الطريق وطرح الأزيال، يقول ابن

(١) الجرسفى: ثلاث رسائل فى الحسبة: ص ١٢٣.

(٢) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٣.

(٣) الجرسفى: المصدر السابق: ص ١٢٤.

(٤) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ١٢.

(٥) ابن عبدون: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦) ابن عبد الرؤوف: نفس المصدر: ص ١١٣.

(٧) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٨.

(٨) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٤٨ - ٤٩.



ولا حد لأكثره وأقله محدود وهو ربع دينار أو ثلاثة دراهم كيلاً أو ما قيمته أحدهما»<sup>(١)</sup> ولذلك يذكر ابن عبد الرؤوف أنه «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها ولا يجوز النكاح بغير ولي». <sup>(٢)</sup>

ولقد كان الزواج يسمر بكثير من الإجراءات حتى يتم من موجبات صحة النكاح وفي كيفية العقد وشروطه وفي الأولياء وفيمن تتول إليه الولاية في غياب الولي الشرعي وفي حكم غيبة الأب عن ابنته البكر ثم الصداق وحكمه وقدره وجنسه وتأجيله وما إلى ذلك <sup>(٣)</sup>.

ويذكر ليفي بروفنسال<sup>(٤)</sup> «أن فترة الخطبة والزواج كانت مصحوبة بمصروفات كثيرة فقد كان أجر المأذونين مرتفعاً وكان طالب الزواج يقوم بتأسيس مكونات جهاز العروس وملابسها، ثم تحديد ميعاد الزفاف وتستمر احتفالات الزواج أسبوعاً كاملاً في منزل العروس تتلقى فيه تهاني نساء الأسرة والصديقات والأقرباء»<sup>(٤)</sup>.

وقد كانت المهور مرتفعة القيمة من ذلك ما دفعه أبو عبد الله بن أبي وإبراهيم والى غرناطة من مهر للسيد أبي حفص للزواج من ابنته أثناء مقامه في مراكش سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م<sup>(٥)</sup>.

وكان عقد الزواج يتم في المسجد، يقول التادلي «وكانت عامة أهل البلدان يعقدون أنكحتهم بالمساجد»<sup>(٦)</sup> وكان المغنون يشتركون في إحياء حفلات الزواج ويرى ابن عبد

(١) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام (المعروفة بالأحكام الكبرى): ورقة ٧٩، انظر نورة التويجى: تحقيق المخطوط: ص ٤٥، ص ٢٨٣.

(٢) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ٧٠.

(٣) ابن رشد القرطبي: الأندلسي: (ت ٥٩٥ هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج ٢ تحقيق عبد الحلیم محمد عبد الحلیم: ص ٣ - ٢٥ طبعة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ دار الكتب الإسلامية.

(5) Levi Provencal, L'Esp. M. V. 111, P. 403.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٩٧، طبعة ١٩٦٧، كذلك حين عقد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قرانه على ابنة ابن مردينش سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م وضع لها مهراً قيمته ٥٠ ديناراً وقدم لها هدية قيمتها ألف دينار، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: القسم الموحدى، طبعة تطوان، ج ٤ ص ٢٢، ص ٢٣.

(٦) التادلي: التشوف: ص ٧٥.

الرءوف «أن يمنع اللهو كله على أنواعه فى الأعراس وغيرها كالعود وغيره إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة»<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن عبد الرؤوف أيضاً أنه على الرجل الذى تزوج بأكثر من واحدة «أن يسوى بينهما فى الملبس والطعام والمبيت ولا يفضل واحدة منهما على صاحبها إلا ما لا يستطيع العدل فيه مثل الجماع والمحبة وليتق الله فى ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وفى أثناء حفلات الزواج كان العامة من المدعويين يضربون البوق والكير والمزهر والطنبور والعود هذا إلى جانب غناء المغنين والمغنيات الذين كانوا يطلقون حناجرهم بالغناء ابتهاجاً بتلك المناسبة وكان يختلط الرجال بالنساء فى هذه الاحتفالات مما دعا الجرسفى إلى منع ذلك<sup>(٣)</sup>.

ووضعت كتب الحسبة أنه يجب أن يؤخذ سلاح الشبان لدى إقبالهم إلى العرس قبل أن يشربوا<sup>(٤)</sup> وذلك منعا لحدوث أى مشاجرات أو حوادث، وكان الحواة أحياناً يتقدمون موكب الزفاف ويرى ابن عبدون منع ذلك<sup>(٥)</sup>.

هذا وقد اشتهرت بعض المدن الأندلسية بجمال نسائها مثل نساء غرناطة، يقول ابن الخطيب: «وحریمهم حریم جمیل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات»<sup>(٦)</sup>.

وقد كانت الظروف أحياناً تفرق بين المحبين وتقضى على أحلامهم فى الزواج وتكوين الأسرة، من ذلك ما حدث لجعفر بن سعيد، وقد سبق الحديث عنه، فقد قتله والى غرناطة السيد أبو عثمان الموحدى بسبب منافسته له على حب الشاعرة الغرناطية حفصة الركونية<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل.

(٢) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق: ص ٨٠.

(٣) الجرسفى: ثلاث رسائل ص ١٢١.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٥٤.

(٥) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٥١.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٩، اللوحة البدرية: ص ٤١.

(٧) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: ج ٢ ص ١٨٣، ترجم لها ابن دحية فى المطرب مصورة

بدار الكتب المصرية ص ١٠، المقبرى: نفح الطيب: ج ٤ ص ١٧١ - ص ١٧٢ ياقوت: معجم

الأدباء ج ١٠ ص ٢١٩ طبعة القاهرة.

## الطلاق

وكما أن الزواج ظاهرة اجتماعية طبيعية كان الطلاق أيضاً إحدى الظواهر الاجتماعية الموجودة في المجتمع، فابن عبد الرؤوف يرى «بأن يؤدب من يحلف بالطلاق أو بطلاق الثالث»<sup>(١)</sup> كما يؤمر الرجل أن لا يتخذ النكاح والطلاق والعناق هزلاً ولا لعباً، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾<sup>(٢)</sup> كما يؤدب «من شكته به امرأته، وعليها آثار ضرب مبرح على حسب ما يظهر عليها من ذلك، إلا أن يكون ضربه إياها على مضجعها، فلا يعرض لها بمكروه»<sup>(٣)</sup>.

كما يؤمر الموثقون أن لا يعقدوا مراجعة رجل طلق امرأته خُلِعَ<sup>(٤)</sup> أو تملك<sup>(٥)</sup> وهي

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل ص ٨٣.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣١.

(٣) ابن عبد الرؤوف: ص ٨٣.

«هذا وقد كان الزواج يمثل عبئاً على بعض الرجال العابثين ومن هؤلاء الزجال ابن قزمان، فلم يكن ابن قزمان من أولئك الناس يحبون البيت ويالفون حياة الأسرة، بل كان قلق الشخصية مسرّعاً، محباً للشراب ولعباً باللهو والعبث، وقد قص علينا أنه تزوج مرة ولكنه ضاق بالزواج وبالمرأة وبمسئولية البيت، وقد عبر عن هذا أحسن تعبير وأقواه، في أسلوب يكاد يكون حديثاً صالحاً لكل عصر، انظر عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس: ص ٧٦، انظر رجل ابن قزمان في ديوانه زجل من ١٤ - ٢٢، وانظر ابن سعيد: ج ١ ص ٢٨٣.

ولم يكن هذا هو مبدأ كل الرجال فما هو الفقيه عبد الملك بن حبيب يحن إلى زوجته وبيته وأهله وأحس بالغرابة أثناء سفره لأداء فريضة الحج فنادى:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة      بأكناف نهر الثلج حين يصوب  
وحولي أصحابي وبنتي وأمها      ومعشر أهلي، والرءوف مجيب

انظر عبد العزيز الأهواني: المرجع السابق ص ٧٨.

(٤) طلاق الخلع «الخلع والفدية والصح والمباراة كلها تثول إلى معنى واحد هو بذل المرأة العوض على طلاقها» انظر ابن رشد: بداية المجتهد ج ٢ ص ٧٨ وما بعدها.

(٥) طلاق التملك هو تفويض الطلاق إلى الزوجة وللرجل أن يجعل إلى المرأة طلاقها وذلك على وجهين: توكيل وتمليك ففي التوكيل له أن يرجع ما لم تطلق نفسها، وفي التملك ليس له ذلك «انظر كتاب مواهب الجليل في شرح مختصر أبي الضياء سيدي خليل، تأليف إمام المالكية في عصره».

محمد بن عبد الرحمن المغربي (ت ٩٥٤ هـ) الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ، مطبعة السعادة.

حامل منه، وقد أثقلت أو دخلت في ستة أشهر من حملها، لأنها مريضة ونكاح المريض لا يجوز<sup>(١)</sup> «كما يؤدب كل من حلف بالطلاق أو بطلاق الثلاث»<sup>(٢)</sup> كذلك «يؤمر الرجل ألا يكون محلاً لغيره فإن فعل ذلك عوقب هو والمرأة والبينة والذي عقد النكاح إن علموا بذلك»<sup>(٣)</sup>.

### الزى الغرناطي

انتشر استخدام الملابس الصوفية بين سكان غرناطة فأصبح أكثر الناس يلبسون الأكسية الصوفية يقول ابن الخطيب «ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء»<sup>(٤)</sup> أما في الصيف فكانوا يرتدون أنواع الملابس المختلفة من حريرية<sup>(٥)</sup> وقطنية وكتانية<sup>(٦)</sup>، يقول ابن الخطيب أيضاً «والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية والآزر المشقوقة فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة، في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»<sup>(٧)</sup>.

وكان فصل الصيف بدأ عندهم ابتداء من مهرجان العنصرة الموافق ٢٤ يونيو من كل

(١) ابن عبد الرؤوف: المصدر السابق: ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ج ١ ص ١٣٤ «الملف هو نسيج من الصوف، انظر الفصل الثاني من الرسالة، وهو الجوخ المنسوج من الصوف» ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة، اللوحة البدرية: ص ٣٨.

(٥) كانت المرية في مقدمة المدن التي توضع النسيج وخاصة الحريري بالإضافة إلى مالقة ومرسية، انظر ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ١٤ - ص ١٦، المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٨٧، طبعة سنة ١٩٤٩، ج ١ ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٧.

(٦) اشتهر إقليم غرناطة بكثرة إنتاجه من الحرير والكتان وخاصة فحص البيرة وفنيانة ووادي آشي، انظر الحميري: الروض المعطار: ص ٢٤، ص ١٤٣، ص ١٩٢، وهو ما ذكره معاهدتها ترغيباً لابن رذمير في امتلاكها، انظر مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١، وابن الخطيب: ج ١ ص ١٠٩.

(٧) ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١٣٤ (كما عرف أهل غرناطة نوعاً من القماش يعرف بالملبد ذو الألوان العجيبة) المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ١٨٧ «الملبد المختم نوع من القماش الحريري كان يصنع في غرناطة».

عام، وحتى أول أكتوبر، ثم يلبسون الملابس الصوفية الثقيلة والملونة بقية العام<sup>(١)</sup>.

وقد استخدم العامة الملابس الكتانية نظراً لرخصتها ومتانتها أما العمامة فكانت لا تستعمل إلا نادراً ولا يلبسها إلا القضاة والفقهاء، وكان بعضهم يفضل عليها قلنسوة من الخز أثناء الصلاة وأثناء الدخول إلى الخلفاء والملوك<sup>(٢)</sup> يقول ابن الخطيب «والعمائم تقل في زى أهل هذه الحضرة إلا ما شاذ في شيوخهم وقضاتهم وعلماهم والجند المغربي منهم»<sup>(٣)</sup>.

وأهل غرناطة يفضلون اللون الأبيض في لباسهم<sup>(٤)</sup> على عكس المرابطين الذين اتخذوا السواد شعاراً لهم حين نادوا بسيادة العباسيين<sup>(٥)</sup>، لكن سرعان ما عاد الموحدون إلى اتخاذ البياض شعاراً لهم من جديد<sup>(٦)</sup>.

أما أهل المرية فكانوا يلبسون الملابس الموشاة والديباج<sup>(٧)</sup> كما عرف أهل المرية لبس أنواع كثيرة من الثياب الفاخرة التي كانت تنتجها المدينة نفسها مثل «الديباج والسقلاطوني (١) العمرى: وصف أفريقية والمغرب والأندلس: ص ٤٢.

(٢) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٢، المقرئ: نفح الطيب: ج ١ ص ٢٢٢.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٣٩.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٥.

(٥) المراكشي: المعجب: ص ١٤٧، أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ الأندلس ص ١٠٠.

(٦) S.P. Scott: History of Moorish Empire, Vol, 2P. 180.

(٧) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: ص ٤٢٢.

(٧) ياقوت: معجم البلدان: ج ٥ ص ١١٩، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٤ «انتشرت هذه الصناعة في مدينة المرية التابعة لأقليم غرناطة فتفوقت على قرطبة وأجادت هذه الصناعة إجادة تامة، انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.

كان أهل غرناطة شأنهم شأن الأندلسيين يعتنون بأزيائهم وملابسهم ويتأنقون وبلغ اهتمام الخاصة منهم أنهم كانوا يفضلون الأرياء المحكمة الصنعة من إنتاج المرية التي كانت تنتج أفخر الثياب وأغلاها، وكان بعضهم من الخاصة مثل ابن قزمان على دراية بأوصاف الثياب وأنواع التفصيل وأصناف النسيج وله جولات كثيرة في الأسواق لاختيار الثياب كما يقول في الزجل ٨٧ انظر عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس: ص ٧٢، ص ٧٣ وفي هذا الزجل يحدثنا ابن قزمان بأنواع الثياب ويحدثنا بالفاظ اصطلاحية قل أن نجدها في كتاب آخر، انظر الزجل السابق: الأهواني نفس المرجع والصفحة.

مَحْشُوا جَدِيدَ مَشَاكِلِ

وَاسِعَ التَّرْبِيعِ وَكَامِلِ

كَنَرِيدِ نَلْبَسِ فِذِ الْعَيْدِ

حَسَنَ التَّفْصِيلِ مَلْحِ

والأصبهاني والجرجاني والستور المكلفة والثياب المعينة والعتابي الفاخرة<sup>(١)</sup>.

أما أهل مالقة فقد استخدموا في أزيائهم الثياب المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب أهل إقليم غرناطة عاشت معهم أجناس أخرى كان لكل كل منهم زياً خاصاً بهم سواء من البربر أو المرابطين أو الموحديين أو من أهل الذمة من النصارى واليهود.

فقد استخدم المرابطون الملابس الصوفية في أزيائهم<sup>(٣)</sup>، أما ألوان ملابسهم فكانت متنوعة، ومن أهم الألوان المستخدمة في ملابس المرابطين اللون الأسود، فكانت أعلامهم وملابسهم سوداء<sup>(٤)</sup> وإلى جانب اللون الأسود استخدم المرابطون عدة ألوان منها اللون الأصفر والأبيض<sup>(٥)</sup>، كما استخدموا الملابس الكحلية اللون<sup>(٦)</sup>.

كذلك اتخذ المرابطون اللثام إذ كانوا يضعونه على وجوههم وصار هذا اللثام علامة

= وهو صاحب ذوق في اختيار الألوان زيادة على خبرته بالأنواع فالثوب الأزرق يستلزم جبة خضراء، هذا وهو لا ينسى أن يخصص الأزرق بأنه سماوي والأخضر بأنه فستقي، انظر الأهواني نفس المرجع ص ٧٤ والزجل رقم ٢٤.

(١) الحميري: الروض المعطار: ص ١٨٤ «الديباج هو قماش من الحرير وهو نوع من الأقمشة

الحريرية والقطنية المختلفة الألوان، انظر Dozy, Diction. P.P. 113 - 436

أما العتابي فينسب إلى حى عتاب في بغداد حيث توجد مصانعه Dozy, Op. Cit. P. 110

(٢) المقري: نفع الطيب: ج ٣ ص ٢١٩، طبعة سنة ١٩٦٧، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠

«وفيها - أى مالقة - تنسج الحلل الموشية التي تجاور ثمنها الآلاف ذت الصور العجيبة يرسم الخلفاء فمن دونهم» انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ٥٨.

(٤) S.P. Scott: History of Moorish Epire; Vol. 2, P. 180

سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير: ص ٧١٧، أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ

المغرب والأندلس: ص ١٠٠، حركات: المغرب عبر التاريخ: ص ٢٣٦.

(٥) ابن القاضى: جذوة الاقتباس: ص ١٤٥.

(٦) ابن خلدون: العبر: ج ٦ ص ٨٩.

أصبح اللثام يشير إلى كبار رجال الدولة وأبناء القبائل المرابطية، ومن هنا اتخذ بعض العامة اللثام زياً لهم للتمويه على الناس فأوجب ابن عبدون «عدم لبس اللثام إلا أن يكون صنهاجى أو لمتونى أو لمطى»<sup>(٢)</sup>.

أما الموحدون فقد استخدموا أيضاً الملابس الصوفية فكانت صنهاجة تستخدم الصوف ويحترم أفرادها بآزر صوف كانوا يسمونها «أسفاقس» وكانوا يتركون رءوسهم عارية<sup>(٣)</sup>، ويبدو أن البربر سواء من المرابطين أو الموحديين بعد اتصالهم بأهل الأندلس وانفتاحهم على حياة اللهو لم يتعودوها فى بلادهم، أقبلوا على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة وغالوا فى ذلك، مما دفع الخليفة المنصور الموحدى إلى إصدار أمر ببيع ما فى خزائن الدولة من هذه الحرائر كما طالب الرعية بالتخفيف من ارتداء هذه الملابس، يقول ابن عذارى «ثم أمر - أى المنصور الموحدى (٥٨٠ هـ) - بقطع لباس الغالى من الحرير والاحتزاء منه بالرسم الرقيق الصغير ومنع النساء من الطرز الحقبلى وأمر بالاكْتفاء منه بالساذج القليل، وأمر بإخراج ما كان فى المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لم تعرف ولم تستقصى»<sup>(٤)</sup>.

أما الجنود فكانوا صنفين جند أندلسى وجند بربرى، يقول ابن الخطيب «والأندلس (١) الكبرى: المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب: ص ١٧٠، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية: ص ٤٣٨، ما زالت قبائل الطوارق أو التوارجة فى صحراء الجزائر يستعملون اللثام، ويقال إنهم من قبيلة ترغة إحدى قبائل الملثمين، ويضعهم ابن خلدون فى كتلة البربر البرانس التى تنتمى إليها صنهاجة، انظر البكرى: المغرب فى وصف إفريقية والمغرب: طبعة دى سلان الجزائر ١٩١١ ص ١٧٠، ابن خلدون: العبر: ج ٨ ص ٨٩ وما بعدها. وقد اختلفت الآراء حول هذه العادة، وأغلب الظن أنهم أخذوها من نوح أفريقيا المجاورين الذين استخدموا الأتعة لدفع العين الشريرة عنهم انظر:

Ander Julian: Histoire de l'Afrique de Nord, P. 77, Paris, 1952.

(٢) ابن عبدون ثلاث رسائل: ص ٢٨ «أورد ابن تومرت فى كتابه أعز ما يطلب باباً فى وجوب مخالفة المرابطين فى رءوسهم وتحريم الاقتداء بهم» انظر ابن تومرت: أعز ما يطلب: ص ٢٦٣، الجزائر، سنة ١٩٠٣.

(٣) ابن سعيد: نزهة الأقطار: ج ١ ص ١١ الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٦٢.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب: ج ٤، القسم الموحدى، طبعة تطوان، ص ١٠٣ - ص ١٠٤.

منها يقودهم رئيس من القرابة أو حصي<sup>(١)</sup> من شيوخ الممالك، وزيهم في القديم شبه زى أقتالهم<sup>(٢)</sup> وأضدادهم من جيرانهم الفرنج، إسباغ الدروع، وتعليق الترسة وحفا البياضات واتخاذ عراض الأسنه وبشاعة قرابيس السروج، واستركاب حملة الرايات خلفه، كل منهم بصفة تختصّ بسلاحه، وشهرة يُعرف بها<sup>(٣)</sup>.

والبربرى منه يرجع إلى قبائله المرينية والزناية والتيجانية والمغراوية والعجيبة، والعرب المغربية إلى أقطاب ورووس يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم، وقطب لعرفاهم، من كبار القبائل المرينية، يمت إلى ملك المغرب بنسب<sup>(٤)</sup>.

ويقول ابن غازى: إن الجند المرابطى كان يتزيا باللثام والغفارة القرمزية وهو نوع من الكساء والعمامة ذات الذؤابة<sup>(٥)</sup>.

أما جنود الموحدين فقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى نوع الثياب التى كانت تورع عليهم من قبل الخلافة ففى سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م وزع الخليفة عبد المؤمن بن على أثناء توجههم إلى غرناطة للقضاء على ابن همشك الثياب والكساء والعمائم والبرانس<sup>(٦)</sup>.

وفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م وزع عليهم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كسوة تامة لكل جندى وهى مكونة من غفارة وعمامة وكساء وقبطية وشقة<sup>(٧)</sup>.

أما اليهود فقد حدد لهم المنصور الموحدى زياً خاصاً بهم يتميزون به بين طوائف

(١) الحصى هو الرجل الوافر العقل، انظر الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦، هامش رقم ١.

(٢) المقصود هنا الذين يقاتلونهم.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٦.

(٥) ابن غازى: الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون طبع حجر مغربى، ص ٦.

الغفارة كساء يلبس فوق آخر وهو رداء واسع يليسه السجود عادة وما رالت كلمة غفارة تستعمل فى المغرب بمعنى السلام. R. Dozy, Supplement aux Dictionnaires Arabes, 11 P. 218

(٦) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٢١ البرنس كساء يكون غطاءً للرأس جزء منه متصل به وكانت مدينة نول فى القديم مركزاً مصوراً لاقتناء البرانس، انظر المصدر السابق: نفس الصفحة، هامش ٢، والإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٦٠ و Dozy: Sup. T. 1 P. 79

(٧) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٢٩ - ٣٠٠، جمع غفارة: كساء يلبس فوق آخر، انظر لسان العرب، والقبطية هى ثوب أبيض رقيق مستطيل الشكل، انظر ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر والصفحة.

الشعب وذلك حتى يمكن التمييز بينهم وبين غيرهم من المسلمين وخاصة بعد تظاهرهم بالإسلام<sup>(١)</sup>.

يقول ابن عذارى «فجعل - أى المنصور الموحدى - لهم صفة كحداد ثكلى المسلمين أردان قمصهم طول ذراع فى عرض ذراع وبرانيس زرق وقلانس زرق وذلك فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة المؤرخ ٥٩٥ هـ»<sup>(٢)</sup>.

ويضيف الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه الأدب الأندلسى أن أزياء النساء كان طابعها الأناقة والنفاسة والإسراف<sup>(٣)</sup>.

ويؤكد ابن الخطيب هذا المعنى بقوله عند الحديث عن نساء غرناطة «وقد بلغن من التفنن فى الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات، والتنفيس بالذهبيات والديجيات والتماجن فى أشكال الحلى إلى غاية نسال الله أن يفض عنهن الدهر، ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بستره، ولا يسلبهم خفى بعزته وقدرته»<sup>(٤)</sup>.

وهذا وقد استخدم أهل غرناطة الحلى بأنواعها الذهبية والفضية<sup>(٥)</sup>، بالإضافة إلى الأحجار الكريمة التى كانت موجودة بكثرة فى الإقليم، يقول ابن الخطيب: «وحليهم فى القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص، إلى هذا العهد، فى أولى الجدة واللججىن فى كثير من آلات الرجلين، فيمن عداهم، والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والنمرد ونفيس الجواهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المُستندة إلى ظل، أو أحالة معروفة موفورة»<sup>(٥)</sup>.

(١) الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: ص ١١.

(٢) ابن عذارى: البيان: ج ٤ القسم الموحدى تطوان ١٩٥٦ ص ١٨١.

(٣) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسى: ص ٨٥.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٩.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٨ - ص ١٣٩.

أما طعامهم «فالغالب عليهم القمح والفقراء يقتاتون الذرة العربية»<sup>(١)</sup>.

وقد تفنن سكان إقليم غرناطة فى صنع كثير من ألوان الطعام المختلفة وصارت موائدهم حافلة بالأنواع المختلفة من الأطعمة والحلوى وأصناف الفواكه والأشربة المختلفة وساعدهم على ذلك غنى البيئة الغرناطية التى كانت حافلة بشتى أنواع الفاكهة<sup>(٢)</sup> والخضروات<sup>(٣)</sup>، يقول ابن الخطيب: «وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث، الكروم البديعة، طوقاً موقوماً... وهى - أى غرناطة - ذوات الفواكه من اللوز والأجاص والكمثرى محدقة»<sup>(٤)</sup> بالإضافة إلى أنواع اللحوم المختلفة سواء الغنم أو الأبقار أو الطيور<sup>(٥)</sup>، وأنواع الأسماك المختلفة<sup>(٦)</sup>، وأنواع التوابل والأفاوية<sup>(٧)</sup> والتى استخدمها أهل غرناطة فى طعامهم.

هذا وشاع الترف<sup>(١)</sup> بين طبقة الخاصة فى المأكّل فى ذلك العصر الذى نحن بصدد

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ص ١٢٠، عن فواكه غرناطة انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣ -

ص ٢٤، الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ١٩٢.

(٣) يقول ابن الخطيب: إن غرناطة «قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة والفواكه الطيبة، والتمر

المدخرة» ابن الخطيب: المصدر السابق: ج ١ ص ١١٥ - ص ١١٦.

(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٢٠.

(٥) يقول ابن الخطيب: إن غرناطة «ذات بيادير فسيحة ومصاب للحمايم والدواجن مائلة» انظر ابن

الخطيب: نفس المصدر: ج ١ ص ١٢٥.

(٦) أمدت مدينة المنكب إحدى مدن إقليم غرناطة بأنواع كثيرة من الأسماك حيث يكثر بها صيد

الأسماك، انظر ابن الخطيب: نفاضة الجراب، نشر أحمد مختار العبادى، ص ١٠٩، هامش ١،

ص ٣٠٠ حاشية ٦، الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ١٩٩، الحميرى: الروض المعطار: ص

١٨٦، البغدادي: مراصد الاطلاع: ج ٣ ص ١٦٤، أما شلوانية فهى وافرة الأسماك، أيضا ابن

الخطيب: مشاهدات: نشر العبادى ص ٨٠، الحميرى: المصدر السابق: ص ١٣٦، أما مالقة

فكانت مستودعاً للأسماك المالحة التى تعمل وتحفظ فيها، انظر نفاضة الجراب: ص ٢٨٦،

هامش ٣، أما مربلة فقد كانت مركزاً عظيماً لصيد الأسماك والسردين، انظر ابن الخطيب:

مشاهدات: ص ٧٥، حاشية ٤.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ٩٨.

دراسته، وقد تفنن الأغنياء فى طهو نوع واحد من الطيور بطرق مختلفة، فمثلاً كانت الدجاجة تطهى بطرق عديدة بحسب ما يضاف إليها، فقد كانت تحمر بالجوز والزعفران، أو تحمر باللوز المدقوق أو تحمر بماء الكزبر الأخضر أو بالصنوبر أو بالفستق، كما كانوا يشوون بعض الحيوانات الكبيرة مثل الخراف والعجول ويضعون بداخلها الطيور المشوية<sup>(٢)</sup>.

ولكن هذا الإسراف فى الطعام لم يكن موجوداً فى مطابخ العامة من الناس، وخاصة الطبقات الفقيرة التى لم تكن تستطيع عمل ذلك ووصل الحد ببعضهم أنه كان يلتقط بقايا مطبخ الخلفاء والحكام والأغنياء ويتخذ منه طعاماً لهم<sup>(٣)</sup> يسد به رمقه، وبالإضافة إلى أنواع اللحوم من العجول والخراف والطيور بأنواعها كان أهل غرناطة يتناولون طعامهم من الأسماك البحرية وخاصة المدن البحرية مثل المرية والمنكب ومالقة<sup>(٤)</sup>، فكانوا يعرفون من أنواع الأسماك والسردين الكثير بالإضافة إلى أنواع القنطون والحوت الذى كان متوفراً فى سواحل مالقة، ومن الأطباق المشهورة أيضاً طبق (البلاجة) وهى تصنع من الأكباد ويوضع

(١) بلغ الترف فى المأكلى فى عصر الموحدين حداً أنه صنع للسيد أبى العلاء بسبته نوع من الأكل يسمى «عجل مشوى» وهو أن يؤخذ كبش فى سمين مسلوخ ومنظف ويفتح بين فخذه فتحاً عميقاً ويخرج جميع ما فى جوفه من أحشاء برفق، ثم يدخل فى جوفه أوزة مشوية وفى جوف الأوزة دجاجة مشوية، وفى جوف الدجاجة فرخ حمام مشوى وفى جوف الفرخ رزور مشوية وفى جوفه عصفور مشوية أو مقلية، كل ذلك مشوية مدهونة بالمرقة الموصوفة للشواء ويخاط ذلك الفتح ويدخل الكبش فى التنور المحمى ويترك حتى ينضج ويحمر ويطلق بتلك المرقة ثم يدخل فى جوف عجل قد أعد ويخاط عليه ويجعل فى تنور محمى ويترك فيه حتى ينضج ويحمر ثم يخرج ويقدم<sup>(٤)</sup>.

انظر أويش ميراندا: المطبخ الأيبانى المغربى خلال عصر الموحدين: ص ١٤٣، هامش ٣، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٥٧، ص ١٣٧ - ص ١٥٥، انظر مجهول: الطبخ فى المغرب والأندلس: ص ٢٠٠ معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٦٥ تحقيق هويش ميراندا المجلد الخامس ص ١٣٧ - ص ١٥٥، ٢٠٠.

(٢) مجهول: الطبخ فى المغرب والأندلس: ص ١٣٢، ص ١٥١، ص ١٥٢، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٦٥، تقديم حسين مؤنس.

(٣) مجهول: المصدر السابق: ص ٨١.

(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ١٧٢ - ص ١٧٧.

عليها الزيت والكزبرة والخل والثوم وتوضع في الطاجن وتطبخ<sup>(١)</sup>.

كذلك يحشى مصران الخراف باللحم<sup>(٢)</sup>، كما كانت الكبد والقلوب تشوي داخل فرن من الطوب<sup>(٣)</sup>.

أما الاجبان فكانت تصنع من لبن البقر والغنم والعنز والجاموس ولا تؤكل جبن المجوس لأن ذبائحهم لا تحل للمسلمين<sup>(٤)</sup>.

وكانت التوابل تستعمل بكثرة في مختلف أنواع الاطعمة وخاصة في أنواع اللحوم سواء المظهوة أو المشوية أو المقلية، ومن أشهى التوابل التي استعملها أهل غرناطة الفلفل والزعفران<sup>(٥)</sup> والقرفة والكزبرة والسنبل والزنجبيل واللوز والدارصيني<sup>(٦)</sup> والكمون والكراوية، كما كانوا يضيفون الخل أيضا إلى معظم الاطعمة سواء كانت مشوية أو مطهية لكي تكسبها طعما ورائحة مقبولة<sup>(٧)</sup>.

وكان الأندلسيون من أهل غرناطة شأنهم باقي الأندلسيين لا يستعملون السمن أو الزيت في طعامهم إلا نادرا، كما كانوا يفضلون عليه الزيت، وكان الزيت يدخل في معظم الاطعمة سواء كانت مقلية أو مطهية، وإذا حدث واستعملوا السمن فكانوا يضيفون إليه الزيت تخفيفا لحدته<sup>(٨)</sup>.

وقد اشتهرت بعض عناصر السكان بأنواع معينة من الاطعمة فالبربر وخاصة قبائل

(١) السقطي: أدب الحسبة: ص ٣٩.

(٢) السقطي: المرجع السابق: ص ٣٦.

(٣) Levi Provençal, L'Esp. M. Vol. 111, P. 415

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٢.

(٥) اختصت بسطة إحدى المدن التابعة لإقليم غرناطة بالزعفران، انظر الإدريسي: صفة المغرب: ص

٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، حاشية ٩.

(٦) الدارصيني شجر له قشر يستعمل مسحوقه في أخلاط التوابل والبهار، انظر ابن ماجه المحتسب:

نهاية الرتبة: ص ٤٣.

(٧) مجهول: الطبخ: ص ٤٠، ص ٧٩، ص ٨٠، ص ٨٢.

(٨) مجهول: الطبخ: ص ٩.

لمتونة ومسوفة وغيرها من قبائل صنهاجة كانوا يأكلون لحوم الأغنام ويشربون ألبانها<sup>(١)</sup>.

كما كان لهم طعام وطني يشترك فيه كل قبائل البربر ويأكلونه في المناسبات وهو طعام أساسي وهو مكون من كبش مضاف إليه الملح<sup>(٢)</sup>.

وهناك بعض ألوان الطعان المنسوبة إلى بعض الفئات والأشخاص، ومن ذلك طعام الخاصة. ويسمى بالصنهاجي والملوكي وهو مكون من لحوم البقر والغنم والدواجن ويستعمله الخاصة<sup>(٣)</sup>.

كما كان الملوك والخاصة والرؤساء يأكلون أمخاخ ما يذبح من الطيور والحيوانات<sup>(٤)</sup>.

كما كانت توجد بعض الأطعمة الخاصة باليهود منها الفروج اليهودي<sup>(٥)</sup> والحجلة اليهودية<sup>(٦)</sup>.

وكان كثيرون من أفراد الطبقة الخاصة يقدمون تلك الأصناف منفردة أي صنفا بعد صنف، بدلا من وضعها كلها على المائدة، دفعة واحدة، وكانت تلك هي عادة الناس والحكام والأغنياء منذ الفتح حتى القرن السادس الهجري<sup>(٧)</sup>.

وكانت هناك تقاليد في تقديم تلك الأطعمة، فكانت لا تقدم أصناف سهلة الهضم مع أخرى عسرة الهضم لأن ذلك يحدث التخمة وبعض أمراض المعدة، وكانوا يقدمون الأطعمة المخلوطة بالخل ثم الأطعمة الحلوة المذاق<sup>(٨)</sup>.

كما كانت هناك بعض الأطعمة الشعبية مثل الحشيشة والعصيدة، وكانت تصنع من لباب الخبز أو القمح المجروش ويضاف إليها اللبن والعسل والزبد والقرفة والسكر<sup>(٩)</sup>.

(١) مجهول: تواريخ مدينة فاس: ص ٢٧، البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية، ص ١٦٤.

(٢) البيلقي: أخبار المهدي: ص ٧٣. (٣) مجهول: الطبخ: ص ١٢١.

(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٤.

(٥) مجهول: نفس المصدر: ص ٣٥ - ٣٦.

(٦) مجهول: نفس المصدر: ص ٦٨.

(٧) مجهول: نفس المصدر: ص ٦ - ٨٥.

(٨) مجهول: المصدر السابق: ص ٧٦، ص ٨٢، ص ٨٥.

(٩) مجهول: الطبخ: ص ١٩١ - ١٩٤.

## الشراب

أما عن الشراب الذى كان يتناوله الناس فى غرناطة فكان أشهره الخمر وكان شراب الخمر شيئاً عادياً فى حياة الخاصة والعامة، وقد رأينا كيف كان الخاصة يشربونها حيث كانوا يقضون أوقاتهم فى اللهو والنزهة والشراب، وكان الشعراء يقضون أوقاتهم فى اللهو، والنزاهة والشراب، وكان الشعراء والأدباء يشربونها لأنها تطلق النفس من عقالها وتزيد السرور، والأدباء المعدمون إذا ما تيسر لهم شربها فإنما يشربونها لنسيان الهموم والهرب من الاحزان<sup>(١)</sup>.

وكان ذوو الجاه يشربونها دون تحرج أو خوف وكان البعض الآخر يتحرج فى شربها مثل السيد اللص فقد تحرج فى شرب الخمر فى مجلس شراب عند أبى جعفر بن سعيد<sup>(٢)</sup>.

وكان بعض السادة الموحدين لا يكتفون بالمجاهرة فى شربها فحسب، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شربها، كالذى حدث للأديب الرحالة محمد بن جبير<sup>(٣)</sup> عندما استدعاه أبو سعيد بن عبد المؤمن، صاحب غرناطة، لأن يكتب كتاباً عنده وهو على شربه، فمد يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض: وقال «يا سيدى ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعا، فلما رأى العزيمة شرب سبع كئوس فملاً السيد الكأس من دنائير سبع مرات وصب ذلك فى حجره»<sup>(٤)</sup> على ما سبقت الإشارة إليه.

(١) حكمة على الأوس: الادب الأندلسى فى عصر الموحدين: ص ١٩٢.

(٢) المقرئ: نفع الطيب: ج ٤ ص ٢٠٣، انظر القصة مفصلة فى الحديث عن الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جُبَيْر، الكنانى صاحب الرحلة وهو من ولد صخر بن بكر بن عبد مائة بن كنانة، أندلسى، شاطبى، بلنسى، مولده ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية وسمع من أبيه ومن أبى عبد الله الأصلى وأبى الحسن بن أبى العيشى وأخذ عنه القراءات وعنى بالادب، فبلغ الغاية منه، وتقدم فى صناعة القريض والكتابة، انظر المقرئ: نفع الطيب: ج ٢ ص ٣٨١ - ص ٣٨٢، ابن الأبار: التكملة: ص ٥٩٨، والذيل والتكملة ص ٥٩٥، وابن الخطيب: الإحاطة: ج ٢ ص ١٦٨، ابن سعيد: المغرب: ج ٢ ص ٣٨٤، النجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٢٢١.

(٤) المقرئ: نفع الطيب: ج ٢ ص ٣٨٥، راجع ما سبق ص ٩.

ويقال: إن ابن جبير بعدما فرج من عنده أضمر أن يجعل كفارة شربه الج بتلك الدنانير.

ولم تخل مجالس اللهو والطرب من شرب الخمر حيث كان الفتيان الصغار يطوفون بأكواب الخمر على الحاضرين، وكان هذه مدعاة لقول الشعر والتغزل بهؤلاء الغلمان<sup>(١)</sup>.

وكان عامة الناس لا يقدرون على شراء نبيذ العنب لأنه كان غالي الثمن فكانوا يصنعون أنواعاً رخيصة يستطيعون شراءها، مثل نبيذ العسل ونبيذ الذرة<sup>(٢)</sup>.

ومن الأثرية المشهورة التي اتخذها البربر - وخاصة قبائل المصامدة شرباً لهم - شراب اسمه الرب<sup>(٣)</sup>.

وكان المصامدة يشربون أيضاً شراب أنزيز وهو حلو وله تأثير شديد كالخمر<sup>(٤)</sup>.

أما قبائل صنهاجة فكانوا ينقعون الزبيب في الماء ويشربونه<sup>(٥)</sup> وقد ذكر صاحب كتاب الطبخ السالف الذكر أسماء للمشروبات زادت عن ثلاثين نوعاً<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب: ج ١ ص ٩٩، ص ٢٦٧، ص ٢٩٧، ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض: ص ٧٧.

(٣) مجهول: الاستبصار: ص ٢١١ «الرب هو الطبخ الخائر من عصير العنب، كما هو في لسان العرب وقد كان شربه معهوداً أول الأمر إلى أن تنبهوا إلى أن مفعوله لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام، فأصدروا الأوامر بمنعه، وهكذا فبعد أن كان الرب يقدم في الاحتفالات الرسمية، وبعد أن كان يباع في مكان خاص بمراكش (باب الرب) بعد ذلك صودر في جميع أنحاء المملكة سنة ٥٨٠هـ ورجع الناس إلى مبدأ ابن تومرت، مجهول: المصدر السابق: ص ٢١١، بروفنسال: رسائل موحدية: الرسالة ٢٨، ص ١٦٤، السلاوى: الاستقصا: ص ١٨٨، راجع أنواع الربويات: رب السفرجل، رب الرمان، رب التوت في كتاب الطبخ في المغرب والأندلس: ص ٢٥٥.

Allain et Deverden: Les Portes Anciennes de Marrakech: Hesperis, T. 44, 1957 Page

121 - 123

والرب معروف إلى الآن في أسبانيا ويعرف باسم Arrop، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٧١، ص ١٧٢.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ٦٢، «هو عبارة عن عصير عنب حلو يطبخ على النار ويخلط بكمية مثله من الماء، انظر الإدريسي: نفس المصدر: ص ٦٣.

(٥) ابن سعيد: نزهة الأنظار: ج ١ ص ١٠، انظر الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ٥٩.

(٦) مجهول: كتاب الطبخ في المغرب والأندلس: ص ٢٢١، ٢٣١، ص ٢٣٨، ص ٢٤٦ وما بعدها.

ومن الأشربة التي كان يقبل عليها الناس، شراب العسل مضاف إليه القرفة والزنجبيل وجوزة الطيب وهو ينفع في التداوى من أمراض الكبد ويقوى المعدة وسائر أمراض الاستسقا كما يحلل البلغم، ويلين البطن<sup>(١)</sup>.

أما شراب الجلاب وهو مصنوع من ماء الورد مضافاً إليه سكر ويستخدم لعلاج الأمراض السابقة وفي علاج بعض أمراض الحميات<sup>(٢)</sup>.

أما شراب المصطكى فهو شراب مضاف إليه النعناع والسكر والعسل وهو إلى جانب علاجه لأمراض المعدة والكبد يهضم الطعام ويمنع القيء<sup>(٣)</sup>.

أما شراب الورد الأخضر فكان يؤخذ من الورد الأخضر ويضاف إليه السكر وكان يستخدم كملين للإمساك<sup>(٤)</sup>.

كما استخدم الناس أنواعاً من الشراب الفاتحة للشهية مثل شراب الورد اليابس وهو من نبات الورد اليابس ويصفى ويضاف إليه السكر يستعمل كفاتح للشهية<sup>(٥)</sup>.

وكان شراب البنفسج يؤخذ من نوار البنفسج الأخضر مضافاً إليه السكر وهو يستعمل بالإضافة لعلاج الحميات الصفراء والتلين وقطع العطش يستعمل في علاج السعال اليابس<sup>(٦)</sup>.

أما شراب التمر الهندي فكان يضاف إليه الماء والسكر ويطبخ ومن منافعه أنه يمنع الإسهال ويوقف القيء كما أنه فاتح للشهية كما أنه يذهب حرارة الفم<sup>(٧)</sup>.

أما شراب الجزر فكان الجزر يؤخذ وتضاف إليه بعض المواد والعسل ويطبخ في ماء دافئ ومن فوائده أنه يحلل البلغم<sup>(٨)</sup>.

(١) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٣٨.

(٢) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٣٩.

(٣) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٣٩.

(٤) نفس المصدر: ص ٢٤١.

(٥) نفس المصدر: ص ٢٤٢.

(٦) مجهول: الطيبخ: ص ٢٤٢.

(٧) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٤٦ - ص ٢٤٧.

(٨) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٤٧ - ص ٢٤٨.

أما شراب التفاح الحلو فكان يضاف إليه الماء والسكر وهو مهم في علاج القلب<sup>(١)</sup>.  
وهكذا تعددت الأشربة وتنوعت.

### المواسم والأعياد

كانت الأعياد فى غرناطة كثيرة ومتنوعة، نذكر منها الأعياد الدينية مثل عيدى الفطر والأضحى، وعيد المولد النبوى فى ١٢ ربيع، وموسم عاشوراء فى العاشر من المحرم، ثم هناك عيد العصير<sup>(٢)</sup>، ومع ما فى هذه الأعياد من الابتهاج والسرور إلا أنها أعياد مقتصرة، يقول ابن الخطيب: «وأعيادهم حسنة ماثلة إلى الاقتصاد»<sup>(٣)</sup>.

وكان أهل غرناطة شأنهم شأن المسلمين فى داخل الأندلس وخارجها يحتفلون بشهر رمضان وذلك بإقامة الحلقات الدينية<sup>(٤)</sup> والصلاة فى المساجد.

ومن المراسم الدينية فى الأندلس ليلة القدر ففى ليلة السابع والعشرين من رمضان توقد الشموع فى المساجد<sup>(٥)</sup>، ويحتفل المسلمون بهذه الليلة فيبتاعون الحلوى ويقدمونها<sup>(٦)</sup>.

(١) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٤٨.

(٢) يلاحظ أن كلمة عصير لم تطلق على عصير العنب فقط بل على التين الرطب أيضاً، راجع: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس ص ٩٣ حاشية ٢.

ولابن قزمان تصوير لنزهات خلوية أيام العصير وهى الأيام التى كان يخرج فيها الأندلسيون إلى الحقول والأودية، حيث يبيتون عدة ليال هنالك، وقد ذكرها الشعراء فى أشعارهم ونقل ابن بسام طرفاً منها وكان ابن قزمان يشارك فى هذه الأعياد حيث خرج فى رجال ونساء ومعهم آلات موسيقية يغنون ويرقصون ويعبثون ويستحمون فى النهار وقد ارتدى كل واحد منهم أجمل ما عنده. انظر ديوان ابن قزمان الزجل رقم ٥٠، الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٩٩.

العصير هو الذى يسمى بالاسبانية Vendimia انظر الأهوانى: نفس المرجع والصفحة.

(٣) ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٤٠، الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧.

(٤) أحمد بن القاسم (التادلى) كتاب المعزى فى أخبار مناقب الشيخ سيدى أبى يعزى رقم ١٢٤٩، دار الكتب ص ٧ مخطوط.

(٥) العمرى: مسالك الأبصار ج ١ ص ٢١٤، تحقيق أحمد زكى باشا، القاهرة، سنة ١٩٢٤ م.

(٦) الصراطوش: الحوادث والبدع: ص ١٤٠.

كذلك ليلة عاشوراء حيث كان بعض الصالحين يعدون الطعام ويدعون الناس لتناوله احتفالاً بهذه الليلة<sup>(١)</sup>.

أما يوم الجمعة فهو عيد الأسبوع عند المسلمين عامة وكان أهل غرناطة يحتفلون فيه بإقامة الصلاة، يقول ابن الخطيب «قتبصرهم في المساجد، أيام الجمع، كأنهم الأهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»<sup>(٢)</sup>.

وكان الناس يهتثون بعضهم البعض ويقبلون على شراء الحلوى ولذلك يرى الطرطوشى أنه «من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس في هذا اليوم على ابتياع الحلوى»<sup>(٣)</sup>.

ويرى ابن عبدون أنه لا يجب أن «يمشى الرجال والنساء في أيام العيد على طريق واحد»<sup>(٤)</sup>.

أما الطرطوشى فيرى أيضاً أنه من البدع خروج الرجال جميعاً أو أشتاتاً مع النساء مختلطين للتفرج في أيام العيد، ويخرجون للمصلى ويقمن فيه الخيم للتفريج لا للصلاة<sup>(٥)</sup>.

أما عيد الأضحى الذى يأتى فى العاشر من ذى الحجة فقد كان فرصة للاحتفال والتأتى سواء فى الطعام أو الشراب أو الملابس، فيذكر ابن عبد الرؤوف أن كل أسرة فقيرة أو غنية كانت تحرص على تقديم الأضحى خروفاً على الأقل وقد جرى التقليد على شراء الأضحى قبل النحر بيوم أو يومين<sup>(٦)</sup>.

(١) التادلى: التشوف: ص ٢٨٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٥.

(٣) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤٠.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٧.

(٥) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١.

(٦) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ١١٠.

صور لنا ابن قرمان فى رجليه (رجل رقم ٨، ٤٨، ٨٢، ٨٥، ٨٩، ٩١، ١١٨) كبش العيد وفرحة الناس وفرحته هو كبش العيد وطرق طهيه كما يصور لنا منظرًا من مناظر المدن الأندلسية فى القرن السادس، لا يزال قائما حتى اليوم فى كثير من المدن الإسلامية، فقبل عيد الأضحى بيضعة =

وكان النحر مادة للتفاخر بين الأسر حيث يذكر الطرطوشي «أن الناس يتنافسون في الضحية للافتخار لا للسنة ولا لطلب الأجر بل لإقامة الدنيا»<sup>(١)</sup>.

وكمظهر من مظاهر الاحتفال بالعيد، كان الناس يلبسون الملابس الجديدة مع التجمل والتزين<sup>(٢)</sup>.

كذلك شارك الغرناطيون إخوانهم المسيحيين في أعيادهم مثل عيد ميلاد السيد المسيح وعيد العنصرة<sup>(٣)</sup> أو عيد سان خوان الذي يحتفل به في أسبانيا في ٢٤ يونيو وهو يقابل عيد النيروز في الشرق الذي يحتفل به في شهر سبتمبر<sup>(٤)</sup>.

أما عيد الفصح في ذكرى صلب المسيح عليه السلام، وخميس أبريل يسمونه خميس العهد، فيحتفل به النصارى قبل عيد الفصح بثلاثة أيام، فكانوا يملأون إناءً من الماء يرتلون عليه ثم يغسلون أرجلهم للتبرك كما فعل المسيح بتلاميذه في مثل هذا اليوم ليعلمهم التواضع لبعضهم بعد أن أخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا<sup>(٥)</sup>.

كما أن هناك عيداً جماعياً لأهل غرناطة عامة وهو عيد العصير، الذي كان يقام عند جنى محصول العنب وعصره، وهو المحصول الرئيس لأهل غرناطة، فكان الأهالي

= أيام تساق الخراف من كل مكان إلى ميادين تسور بأخشاب ثم يذهب الناس يوم منى إلى هذه الأسواق مزدحمين، يقبلون الخراف ويسامون البائعين، يدفعون ثمن ما اعتزموا شراؤه وينادون الحمالين، فيرفع الواحد منهم الخروف على عنقه ويمضى به إلى بيت المشتري، أما من فاتهم الشراء لفقهم فينتظرون يوماً تقام فيه (في الحارات) حفر تشوط فيها رهوس الخراف ويقبل الفقراء على شرائها، صورة لا تزال موجودة إلى اليوم في بلاد المغرب، انظر الأرجال السابقة، الأهواني: الزجل في الأندلس: ص ٧٩ - ص ٨٠.

(١) الطرطوشي: الحوادث والبدع: ص ١١٠.

(٢) ابن القطان: نظم الجمال: ص ٤١، بروفسال: نخبة تاريخية في أخبار البربر: ص ٣٦.

(٣) الطرطوشي: الحوادث والبدع: ص ١٤١.

(٤) Dozy: Supplement aux Dictionnaires Arabes, 11, P. 621

أحمد مختار العبادي: الأعياد في مملكة غرناطة: ص ١٤٠، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في

مدريد، ابن بسم: الذخيرة: ج ٤ قسم ١ ص ٤٧.

(٥) الطرطوشي: الحوادث والبدع: ص ١٤١ حاشية رقم ٢.

يغادرون ديارهم وينتقلون إلى حقول الكروم حيث يقيمون عدة أيام لجمع المحصول<sup>(١)</sup>، يقول ابن الخطيب: «وعادة أهل هذه المدينة، الانتقال إلى حقل العصير أو أن إدراكه، بما تشتمل عليه دورهم والبروز إلى الفحوص بأولادهم معولين في ذلك على شهامتهم وأسلحتهم»<sup>(٢)</sup>.

يطلق الثور أو بقر الوحش كما يسميه ابن الخطيب، ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحشة<sup>(٣)</sup> فتأخذ في نهش جسمه وأذنيه وتعلق بهما في صورة القرط من آذانهما<sup>(٤)</sup>.

وهذا العمل التمهيدي كان الغرض منه هو الحد من قوة الثور وتهذيب حركته وهو ما يقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام Banderilleros وطاعن الرمح Picador وذلك تمهيداً للقاء المصارع الذي كان فارساً مغواراً يصارع الثور وهو على فرسه المدرب ثم يقتله في النهاية برمحه<sup>(٥)</sup>.

وقد استخدم الخاصة من الناس الصيد متعة لهم ووسيلة من وسائل اللهو فكانوا يخرجون في نزعات لصيد طير الباز وهو نوع من الصقور فاهتموا به وقاموا بإعداده وتربيته حتى أنه ينسب إليه ريبض باسمه عرف باسم ريبض البيازين<sup>(٦)</sup>.

(١) العبادي: الإسلام في أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر الكويتية، ص ١٠٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٨، اللمحة البديرة: ص ٤٠ «الفحوص» جمع فحوص وهو المرج.

(٣) كلاب اللان وهي الكلاب المعروفة في اللغة الانجليزية وواضح من اسمها أنها كلاب الشيران Bulldogs.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: لوحة ٤٤١ (نسخة الاسكوريال) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: نشر أحمد مختار العبادي ص ٦ حاشية ١، العبادي الأعياد في مملكة غرناطة: ص ١٤٢.

(٥) العبادي: المصدر السابق: نفس الصفحة، ما زالت هذه اللعبة موجودة في أسبانيا إلى اليوم وهو ما تشتهر به أسبانيا ضمن أماكنها السياحية فيأتيها السياح من كافة أنحاء العالم لمشاهدة آثارها ومناظر جنوب أسبانيا الخلافة، كان ذلك من رؤيتي الشخصية أثناء زيارة لى لأسبانيا سنة ١٩٨٢.

(٦) العمري: (وصف أفريقية) ص ٤١، القلقشندی: صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٤ «هو من أكبر أرباض غرناطة ويقع في شرق المدينة عن ريبض البيازين انظر الباب الأول، العمري: المصدر السابق، نفس الصفحة، القلقشندی: المصدر السابق نفس الصفحة.

بأما الموسيقى والغناء فكانت تمثل عنصراً هاماً في الحياة الاجتماعية لإقليم غرناطة، فكان أهل غرناطة يعشقون الموسيقى ويميلون إليها<sup>(١)</sup>، يقول ابن الخطيب: «والغناء مدينتهم فاشى، حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيراً من الأحداث كالخفافين<sup>(٢)</sup> ومثلهم<sup>(٣)</sup>».

هذا وقد برع أهل الأندلس في العزف على كثير من الآلات الموسيقية وعلى الأخص القيثارة والدف والمزمار والطبلة والعود<sup>(٤)</sup>، بالإضافة إلى الآلات الوترية وهي كلها جوفاء والربط والرباب والقانون<sup>(٥)</sup>، ويذكر ليفي بروفنسال أن الفرقة الموسيقية تتكون من المغنى تصحبه فرقة فيها عواد أو زامر وطبلة صغيرة وصاجات فيبدأ المغنى بالغناء ثم يردد الحاضرون<sup>(٦)</sup> وراءه بعض المقاطع.

ومن أشهر الموسيقيين في غرناطة أبو الحسن علي بن الحمارة<sup>(٧)</sup> وهو ممن برعوا في علم الألحان وعلمها واشتهر عنه «أنه كان يعمد للشعراء<sup>(٨)</sup> فيقطع العود بيده، ثم يصنع منه هودا للغناء، وينظم الشعر ويلحنه ويغنى به»<sup>(٩)</sup>.

وكان المذهب المالكي من أشد المذاهب الفقهية تشدداً في منع وتحريم الآلات الموسيقية<sup>(١٠)</sup>.

- (١) ابن الخطيب: الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧، اللوحة البدرية: ص ٣٨ - ص ٣٩.
- (٢) الخفافين: هم الذين يصنعون الخفاف - جمع خف، الإحاطة: ج ١ ص ١٣٧ هامش رقم ٤.
- (٣) المصدر السابق: نفس الصفحة.
- (٤) جمال محرز: الرسوم الجدارية الإسلامية في البرطل بالحمراء: ص ٣١.
- (٥) ابن خلدون: المقدمة: ص ٣٥٣.
- (٦) بروفنسال: محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها: ص ٢٤، ترجمة عبد الهادي شعيرة، ما زالت هذه الطريقة في الغناء موجودة في أسبانيا حتى الآن فغناؤهم شرقي أقرب إلى الشرق من الغرب وقد شاهدت هذه الحفلات وطريقة الغناء أثناء رحلة إلى أسبانيا.
- (٧) ترجم له الضبي في البغية ص ٥١٧ وقال شاعر أديب مجيد خبيث الهجاء ص ٥١٧، المقرئ: نفع الطيب: ج ٤ ص ١٤٠، ابن دحية: المطرب: ص ١٠٩.
- (٨) الشعراء: الروضة ذات الشجر، والأرض كثيرة الشجر، ابن سعيد: المغرب: ج ١ ص ١٢٠ هامش ١.

- (٩) ابن سعيد: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.
- (١٠) يحيى بن عمر (أحكام السوق) تحقيق محمود على مكي صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد ١ - ٢ مجلد ٤ ص ١١٩ هامش ٢.

فيرى ابن عبد الرؤوف «أنه يجب أن يمنع اللهو كله على أنواعه فى الأعراس كالعود وغيره، إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة وإن اختلف فى الكبر<sup>(١)</sup>». وحافظت غرناطة على التراث الموسيقى الأندلسى حينما انحسر ملك المسلمين فيها، فيذكر ابن خلدون أن غرناطة أخذت تصدر الموسيقى الأندلسية إلى بلاد المغرب<sup>(٢)</sup>. وفى تونس يوجد إلى اليوم لون من الغناء الشعبى التونسى يعرف باسم لحن غرناطة<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ٨٣.

(٢) ابن خلدون: المقدمة: ص ٤٠٢، ص ٤٢٨.

الموسيقى الأندلسية الموجودة الآن فى بلاد المغرب ما هى إلا رواسب موسيقى زرياب القديمة، انظر العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٥.

J. Rifers: La Musica de las Caantigs, P. 57.

(٣) العبادى: الأعياد فى غرناطة: ص ١٤٥.

## الخاتمة

يقع إقليم غرناطة فى الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة الأيبيرية، ويحدها شمالاً ولايات جيان وقرطبة وأشبيلية ومن الشرق ولاية مرسية ومن الغرب ولاية قادس وأرض إنتقيرة. وكانت غرناطة تشتمل على ثلاث ولايات، غرناطة العاصمة وتقع فى وسط الإقليم، ومدينة مالقة وتقع على الساحل الجنوبى الشرقى لبلاد الأندلس، والمرية وتقع على الساحل الشرقى للأندلس بين إمارتى مالقة ومرسية.

كانت غرناطة حين افتتح العرب بلاد الأندلس - مدينة صغيرة من أعمال ولاية البيرة وقد سقطت غرناطة فى أيدي العرب عقب انتصارهم على القوط فى موقعة شريش فى رمضان سنة ٩٢ هـ / ٧٧١ م

وقد ازدهرت مدينة البيرة فى عهد الخلافة وأصبحت عاصمة الولاية، واستمرت كذلك حتى انهارت الخلافة الأموية فى الأندلس واستولى رعما البربر على معظم قواعد الأندلس الجنوبية، فاتخذ بنو زيرى غرناطة عاصمة لهم، ثم حدث بعد ذلك أن تدهورت الأحوال السياسية فى الأندلس منذ عهد ملوك الطوائف وبدأت الجبهة النصرانية توجه الصراع ضد المسلمين وعجز ملوك الطوائف عن صد عدوان النصارى، فسقطت طليطلة إحدى قواعد الأندلس الكبيرة فى يد ألفونسو السادس وذلك سنة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م.

وكان للنكبة التى حلت بطليطلة أثر على المسلمين فى الأندلس، وشعر ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد بخطورة الوضع فلجئوا إلى الاستعانة بالمرابطين وذلك منذ ٤٦٧ هـ - ١٠٧٤ م، فاستجاب يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين وعبر إلى الأندلس ثم ما لبث أن انتصر على جيوش النصارى الأسبان بقيادة ألفونسو فى معركة الزلاقة فى شهر رجب سنة ٤٧٩ هـ - ١٠٨٦ م ومنذ ذلك الوقت بدأ المرابطون يتطلعون للاستيلاء على الأندلس خاصة بعد أن وقفوا على أحواله وعلى مدى ضعف ملوك الطوائف وتفككهم، فاستبدت بيوسف بن تاشفين فكرة الاستيلاء على البلاد الأندلسية ووضع حد لأطماع النصارى.

ولقد ساعد يوسف بن تاشفين على الاستيلاء على الأندلس أن أغلب الشعب الأندلسي كان يتشوق للخلاص من حكم ملوك الطوائف بعد أن أثقلت المغارم والضرائب كاهلهم، كذلك شجع فقهاء المغرب والأندلس والمشرق أيضاً يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف، فخرج يوسف بن تاشفين غازياً لبلادهم وتمكن من الاستيلاء على مالقة وقرطبة ثم على باقي البلاد الأندلسية وعزل جميع ملوك الطوائف ما عدا بني هود.

ومنذ ذلك الحين أصبحت قرطبة شأنها شأن الولايات الأندلسية تابعة للحكومة المركزية في مراكش وزاد تدفق البربر على إقليمها.

ولقد أمضى المرابطون أغلب فترة حكمهم للأندلس في جهاد مستمر ضد القوى النصرانية، ولكن لما بدأ الضعف يسرى في جسم الدولة المرابطية وظهر الموحدون في المغرب وتكرر الأندلسيون لهم واشتد ضعف النصارى على الأندلس، فقاموا بهجمات متتالية على ممتلكات المسلمين وتوالت على الجيوش المرابطية الهزائم المتتالية.

ففقدوا ثقة الناس وتحرج موقفهم وكانت هزائمهم في الأندلس ممهدة فعلاً لآمر الموحدون بالمغرب الذين كانوا سبباً مباشراً في سقوط دولة المرابطين.

وقد كانت هذه الحركة على قدر كبير من الإحكام والتنظيم مما كفل لها الاستمرار إلى أن سقطت الدولة المرابطية وقامت على أنقاضها الدولة الموحدية ومؤسس هذه الدولة عبد المؤمن بن علي الذي خلف داعية الموحدين محمد بن تومرت، وقد واصل عبد المؤمن جهادة ضد الدولة المرابطية، فتمكن من فتح وهران وتلمسان سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م وسقطت مدينة فاس في أيدي الموحدين سنة ٥٤٠ هـ - ١١٤٥ م وبعد سقوط فاس أخذت القبائل تتوافد عليه كما أن عدداً من المدن بعثت إليه بولائها، وبعد ذلك ضيق الموحدون الحصار على مراكش الذي استمر تسعة أشهر واقتحم الموحدون المدينة وبذا تكون الدولة المرابطية قد سقطت نهائياً في المغرب ولكنها ظلت باقية بعض الوقت في الأندلس، وأستطاع الموحدون بعد ذلك الاستيلاء على الأندلس.

وكانت الأندلس أيام المرابطين تضم ست مقاطعات: هي أشبيلية وقرطبة وسرقسطة وبلنسية ومرسية.

هذا وقد كانت البلاد الأندلسية تعتبر خلال العصر الموحدى، مثلما كانت عليه في العهد المرابطى قطراً من أقطار الدولة الموحدية وكانت تنقسم إلى عدة ولايات، هى ولاية الغرب، شلب وأحوازها بالإضافة إلى شنترين وأشبيلية وأحوازها وقرطبة وأحوازها وجيان وأحوازها وقرطبة وأحوازها والمرية وأحوازها وبلنسية والجزيرة، والجزيرة الشرقية قبل أن يستقل بها بنو غانية ومرسية وأعمالها.

وهكذا كانت أقاليم الأندلس خاضعة للحكومة المرابطية ثم الموحدية وفق سياسة منظمة، ومنذ عهد المرابطين وخلال عصر الموحدين ازدهر إقليم قرطبة كثيراً ونما نمواً سريعاً وغدت له أهمية كبيرة بين أقاليم الأندلس وبرزت سماته الخاصة.

وقرطبة مدينة مستديرة الشكل تقع على سفح جبل شلير.

ويصف المؤرخ توروس بلباس قرطبة بأنها تشبه باقى المدن الأسبانية الإسلامية - بشوارعها الضيقة وميادينها القليلة الصغيرة - كما احتوت على أربعة أرباض كبرى.

وأول ما تلاحظه فى قرطبة الأسوار التى كانت تحيط بالمدينة، أما الأبواب فكان للمدينة ثلاثة عشر باباً.

امتازت قرطبة - شأنها شأن باقى المدن الأندلسية - بشوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها المغلقة وميادينها القليلة.

أما عن نظام المنزل، فإنه لم يختلف عن نظام المنزل الإسلامى ذى الطراز المميز، فقد جرت العادة على أن يودى بابه إلى دهليز يتناسب مع حجم المنزل ويفضى هذا الدهليز إلى صحن المنزل الذى تلتف حوله الغرف.

وإلى جانب الدور والمنازل التى سكنتها العامة كانت توجد القصور الفخمة، التى حفلت بها قرطبة.

أما المتنزعات، فقد انتشرت فى قرطبة وأقاليمها المتنزعات والحدائق التى اتخذها الناس مكاناً للترهة وللترويح عن النفس.

هذا ويعتبر المسجد من أهم العماثر فى المدن الإسلامية، لذا فقد أصبح بحكم أهميته الدينية والتعليمية من أهم المعالم الإسلامية.

أما الحمامات فقد كانت لها أهمية كبرى فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس، وقد اشتهرت غرناطة بكثرة حماماتها، وكان الماء يجلب إليها من نهر حدرة الذى يشق المدينة، كما كثرت الحمامات أيضاً فى إقليم غرناطة مثل وادى آش ومالقة.

أما المقابر فكانت تقع خارج المدينة بجوار باب البيرة.

أما القناطر فقد أقامها أهل غرناطة على الأنهار الموجودة فى غرناطة مثل نهر شليل وحدرة ويوجد بغرناطة خمس قناطر.

هذا وقد تقدمت الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين على أثر ما أبداه المرابطون وخلفاؤهم الموحدون من حرص على النهوض بالمغرب والأندلس فى شتى المجالات، فزاد الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارى وتدفقت الأموال وارتفع الدخل العام للبلاد.

وقد شهد إقليم غرناطة تقدماً كبيراً فى النشاط الاقتصادى بسبب طبيعة الإقليم ذاته وما تميز به من خصوبة أراضيه وكثرة أنهاره التى ساعدت على قيام زراعة ناجحة فى قرى ومدن الإقليم، بالإضافة إلى وفرة المادة الخام، فقامت صناعات كثيرة وازدهرت، هذا إلى جانب شبكة الطرق البرية والبحرية التى ربطت قرى إقليم غرناطة ومدنه، بعضها ببعض، كما ربطت الإقليم، بسائر أقاليم الأندلس، إلى جانب الطرق التى ربطت بين إقليم غرناطة والعالم الخارجى.

ففى مجال الزراعة تمتع إقليم غرناطة، كما سبق أن ذكرت بسطح متميز وتربة خصبة وأنهار متعددة ساعدت على ازدهار الزراعة وقد توفرت لإقليم غرناطة أيضاً المادة الخام التى ساعدت على ازدهار الصناعة فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين.

فقامت عدة صناعات أهمها صناعة النسيج وصناعة السفن وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد، بالإضافة إلى عدة صناعات أخرى.

وقد اشتهر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المعادن مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس وإلى جانب العوامل الطبيعية السابقة، التى تمتع بها إقليم غرناطة وساعدت على ازدهار كل من الزراعة والصناعة كان للطرق التجارية أثر فى إنعاش حركة

التجارة الداخلية والخارجية، فقد تمتع إقليم غرناطة بشبكة من الطرق البرية ربطت بين مدن الإقليم داخليًا وخارجيًا بالإضافة إلى الطرق البحرية، وكثرة موانئ الإقليم كالمريّة والمنكب ومالقة، التي كانت تخرج منها الأساطيل التجارية محملة بالبضائع آتية إليها بما تحتاجه البلاد فانتعشت التجارة الداخلية والخارجية.

وهكذا كان للعوامل الطبيعية أكبر الأثر في إنعاش الاقتصاد وتقدمه في إقليم غرناطة.

أما العوامل السياسية، فقد لعبت هي الأخرى دورًا هامًا في ازدهار الاقتصاد في بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد أثرت سياسة أمراء المرابطين والموحدين في ازدهار النشاط الاقتصادي سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة، فأسهموا في رفع مستوى الإنتاج في البلاد سواء في المغرب أو الأندلس، فوفروا الأمن والطمأنينة للسكان وقضوا على الفتن والحروب ونقلوا الصراع إلى أرض نصارى أسبانيا، ووفروا لرعاياهم قدرًا كبيرًا من الأمان، وبالأمن والاستقرار الذي أشاعه المرابطون استطاع السكان استثمار الأرض ومضاعفة الإنتاج الزراعي.

وكان المزارعون هم أكثر الناس تضررًا بالاضطرابات والحروب الداخلية المستمرة قبل عهد المرابطين، فلماذا نشبت حرب بين أميرين فإن من الوسائل المتبعة ضد الطرف الآخر حرق المزارع وتخريب البساتين.

وكذلك كان نصارى أسبانيا إذا أغاروا على البلاد الإسلامية لا يترددوا في إحراق البساتين وإتلاف الزروع.

وما حدث للزراعة، حدث للتجارة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت في التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقر الأمن والسكينة في ربوعه كما سبق أن ذكرنا، ففي العصر المرابطي الأول، قبل معركة أڤليش (سنة ٥٠١ هـ - ١١٠٨ م) استطاع المرابطون أن يحفظوا الأمن وأن يقروا السكينة، فسهروا على حماية الطرق وتأمين مسالكها وضبط الثغور وذلك بنقل الصراع إلى مناطق أسبانيا وبناء القلاع والحصون والأسوار حول المدن، مثل المريّة وغرناطة وتشديد الراباطات والمحارس الساحلية في غرناطة وغيرها من المدن الساحلية سواء في بلاد المغرب أو الأندلس وذلك لحمايتها من الغارات البحرية التي كان يقوم بها الأعداء، فأمن المرابطون بأسطولهم البحري حركة النقل في البحر.

ولما قامت الدولة الموحدية، أولى الموحدون النشأ الاقتصادي عناية خاصة وحاولوا توفير الأمن والاستقرار لأهل البلاد، فنقلوا الصراع كذلك إلى مناطق نصارى أسبانيا وبذلوا جهوداً كبيرة في إقامة الحصون حماية للمزارع، ومع كل جهود الموحدين هذه في حماية الأندلس بما فيها إقليم غرناطة ظل نصارى أسبانيا يوجهون اعتداءات مستمرة إلى كل بلاد الأندلس، ولذلك حرص الموحدون على عقد الصلح مع نصارى أسبانيا، رغبة في تحسين النشاط الاقتصادي وتحقيق الأمن للسكان حتى يستطيعوا ممارسة أنشطتهم الاقتصادية المختلفة دون خوف من سلب أو نهب أو حرق لزروع ونسف لساتين فازدهرت الزراعة في المناطق الجنوبية مثل غرناطة ومالقة والمرية، كذلك اهتموا اهتماماً عظيماً بالأساطيل، فلقد وجه عبد المؤمن بن علي عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسى ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية، فاستطاع أن ينشئ أقوى أسطول في البحر المتوسط.

هذا ولم تقتصر مهمة الاسطول الموحدى منذ عصر عبد المؤمن بن علي على جهاد نصارى أسبانيا، بل أخذ على عاتقه أيضاً مهمة قمع حركة القرصنة التي كانت منتشرة بين المسيحيين والمسلمين على السواء.

كذلك كانت سياسة الموحدين البحرية، تقوم على مبدأ احترام نواميس التجارة الدولية وضمنان السلام والطمأنينة في البحار.

وبعد ضم إقليم غرناطة إلى الدولة الموحدية عام ٥٥٧ هـ قام الخليفة عبد المؤمن بن علي بتنشيط حركة التجارة في إقليم غرناطة.

كذلك قطع الخليفة عبد المؤمن بن علي جميع المغارم والقبالات والمكوس التي فرضها المرابطون من قبل، كذلك اهتم الخلفاء الموحدون بالتجار والصناع وأمناء الأسواق.

وهكذا تضافرت هذه العوامل مجتمعة على ازدهار الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة وزيادة الإنتاج سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة.

ورافق هذا الازدهار الاقتصادي تحول كبير من حياة سكان المغرب والأندلس

الاجتماعية بالإضافة إلى أن البربر من سكان البلاد سواء في المغرب أو الأندلس، اكتسبوا العلوم والمعارف والخبرات الفنية وأصبح كثير منهم يمتن مهناً لم يألّفها من قبل ومن ثم ظهرت الفرة والعداوة بين البربر والأندلسيين ولكن هذا لم يمنع الأندلسيين من اضطرارهم إلى التعامل والتعايش مع هذه الطبقة الجديدة بل تسابقوا لخدمتها وهجروا أوطانهم وذويهم إلى بلاد المغرب مركز الحكم والسلطان حفاظاً على أموالهم ومكاسبهم ومراكزهم أو طلباً للمزيد.

ولقد بلغ من كثرة عدد المسافرين من مدينة غرناطة أن سمي أحد أرباضها الخارجية باسم حوز الوداع، وهو المكان الذي اعتاد فيه الغرناطيون توديع أهلهم وذويهم قبل رحيلهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سبب ازدهار البلاد المغربية والأندلسية اقتصادياً وتفوقهما السياسى أمران بدأهما المرابطون وأتمهما الموحدون.

واستعراض النشاط الاقتصادى فى هذ البحث يوضح مجهودات المرابطين والموحدين فى هذا المجال ومن التعصب والتجنى أن نقول أن المرابطين والموحدين بخشونتهم وسياستهم كانوا السبب فى انهيار الحضارة الأندلسية، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الأندلسيين أنفسهم كانوا سبباً رئيسياً فى انهيار الحضارة الأندلسية وكان المنتظر من هؤلاء الأندلسيين أن يعيشوا فى الأندلس فى تآلف تحت ظل الدولة الإسلامية لكنهم لم يتخلصوا من روح التعصب، وشهد القرن الخامس والسادس والسابع الهجرى صراعاً اجتماعياً بين العناصر الاجتماعية المختلفة التى لم تنصهر ولم تتجانس، أضف إلى ذلك طبيعة البلاد الأندلسية بجبالها ومجاورتها للنصارى فإنها تساعد الثوار باستمرار، أضف إلى ذلك ضعف الروح العربية فقد اختفت العناصر العربية وحلت محلها العناصر الأندلسية وهم الجيل المهجن من آباء عرب وأمهات إسبانيات ذلك التهجين أفقد الأندلسيين حماسهم لأصالة عروبتهم ولغتهم العربية التى بدأت هى الأخرى تنهزم أمام اللكنة العامية، والسلطة الحاكمة من البربر لم تتحمس لإصلاح الانهيار الاجتماعى الذى كان يدب فى جسم البلاد الأندلسية وسرعان ما اغمسوا هم أنفسهم فى الترف وانصرفوا إلى الدعة واللهو ومحاكاة الأندلسيين فى معيشتهم وطريقة حياتهم.

وغدت المرأة في المجتمع الغرناطي أول المتأثرين، فتأثرت بالأسبانيات وقلدتها في كثير من عاداتها وأخلاقياتها، كما كثرت البدع والخرافات في حياة المجتمع الذي اعتمد في مظاهر حياته على الترف والبذخ، وشهدت الأندلس الكثير من الأمراض الاجتماعية وخاصة ما شاع من الغناء واللهو وعكوف الناس على الملذات فانغمسوا في شرب الخمر التي كانت منتشرة بين جميع فئات المجتمع أضف إلى ذلك الانحلال الاجتماعي الذي سرى في المجتمع الأندلسي وأدى في النهاية إلى ضياع الأندلس الإسلامية.

الملاحق

obeikandi.com

## ملحق (١)

هذه رسالة موجهة من على بن يوسف من محلته بظاهر قرطبة خلال إحدى الزيارات، وهي عبارة عن وصية من السلطان لرعيته:

«كتابنا أبقاكم الله وسلمكم، وتولاكم وأكرمكم، ووقاكم الأسواء وعصمكم، من محلتنا يمنها الله بظاهر قرطبة - حرسها الله - في يوم كذا من شهر كذا عام كذا، ويتأدى إليكم من قبل واليكم وخليفتنا فيكم أبي فلان أبقاه الله، وهو النائب عنا في تدبيركم وإقامة أموركم، وسياسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحد معه في ذلك بد، ولا مصدر ولا مورد، ولا مقام ولا مقعد، قد فوضنا إليه في ذلك كله، وأفردنا النظر في دقه وجله، وكثرة وقلة، وحكمناه في جميعكم، يثيب من استحق الثواب، ويعاقب من استحق العقاب، ويكرم أهل الإحسان، ويهين من أساء أشد الهوان، ويتمسك منكم بمن أراد، ويسرح من رأى تسريحه، ويبعد من كان سبيله الإبعاد، وما فعل من ذلك كله فنحن فعلناه، وما قال فيه فكأننا نحن قلناه، ولا نوقف ما أمصناه، ولا نمضي ما وقفه وأباه، ولا نرى في أحد منكم إلا ما يراه، ولا نتولاه - كائنًا ما كان - إلا أن يتولاه، ولا نرضى من أقواله ما لا يرضاه، بلساننا يتكلم، وعمّا في جناننا يترجم، وعلى ما يوافقنا يسدى ويلحم، وإلى ما يرضينا يمضى ويتقدم، فاسمعوا وأطيعوه ولا تخالفوه، فلن يعدو وجه القصد ولا تعصوه، ولا تألوه انقيادًا وطاعة، ولا تدخروا عنه فيما يستعملكم فيه جهدًا ولا استطاعة، وإياكم والخوض في أمر جعلناه إليه، واحذروا من تعقب ما صغر أو كبر عليه، واضربوا عنه، ودعوا ما لا يعينكم منه، وليرشد خياركم شراركم، وليبصر كباركم صغاركم، وحسبنا هذا إنذارًا لكم، وإنذارًا إليكم، ولا عذر بعد، ولا يلزم من تعدى إلا نفسه، وبالله التوفيق، والسلام عليكم<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: محمود على مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ - سنة ١٩٥٩م.

## ملحق (٢)

هذه رسالة موجهة من على بن يوسف من مراكش إلى أحد عماله،

يأمره أن يستشير أحد الفقهاء في مختلف أمور الحكم:

«كتابنا أطلال الله في طاعته مدتك، وأدام بتقواه حرمتك، وأفاض نعمتك، وتولى توفيقك وعصمتك، من حضرة مراكش حرسها الله، وقد علمت محل ذي الوزارتين الأجل الفقيه الأفاضل ولينا أيده الله بتقواه من صدق ولايتنا، ومكانه من حسن رعايتنا، وأنه ممن يستشفى برأيه، ويهتدى بهديه، ويستثمر النجح من سعيه، ويتعرف السداد في رأيه، فينبغي لك أن تشاوره في كل ما تأتى وتذر، وتورد وتصدر، وتقدم وتؤخر، فلن تعدم منه مشيراً نصيحاً، فامتثل في ذلك عهدنا، ولا تتعدّ فيه حدنا، وتوخّ معه من مصالح البلد ما يحسن موقعه عندنا، ويقتضى شكرنا وحمدنا، إن شاء الله، والسلام»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: محمود على مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - المجلد السابع العدد ١-٢-١٣٧٩هـ - سنة ١٩٥٩م ص ١٧٧.

## ملحق (٣)

رسالة موجّهة من علي بن يوسف إلى قاضي مالقه<sup>(١)</sup> في ٥ ذى الحجة سنة ٥٢٣هـ.

(كتابنا كتب الله أعمالك مبرورة، ومساعيك مشكورة، وعرفك الآلاء موفورة، من حضرة مراکش، حرسها الله، لخمس بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، وان من رتب من الأمر حيث رتبت، وحسب من القيام بالمهمات حيث حسبت، لم يسعه أن ينام عن قضية تجرى ببلده، ولا أن تدركه غفلة عن تفقد ما تحت يده، وقد تجمعت الآن بهذه الحضرة عصائب الشاكين، وكثرت أرفاع المتظلمين، وكان من أمورهم بين ومشكل، (١٧٨) وفيهم محق ومبطل، فلم يخل ما كانوا يجيئون به من قول مزور، وباطل في صورة الحق مصور، وعندما التبس الكذب من ذلك بالصدق، والتف المبطل بالمحق صددنا أرفاعهم عن الحصوص، وصرفنا دونها وجه القبول، وأوعزنا الى جماعتهم لما خفناه من تلبسهم في الأمور، وشوبهم المباح بالمحذور، بأننا لا ننظر لأحد منهم في حق يدعيه، ولا أمر يوجبه أو ينفيه، إلا بعد أن يأتي ببيان من قاضى بلده، وكتاب ينطق عن صحة ما بيده، فانصرفوا وفي نفوسنا - علم الله - من قبلهم ما يشق حمله، ولا يخف مثله، فإنه لا يمكن إلا أن يكون فيهم الصادق البر، والرجل المضطر، لكن الخير أردنا، والبر قصدنا، ولما كان هذا وجب أن نلتمس لأموهم وجهاً يتوصل به إلى معرفة الصحيح من السقيم، والمعوج من القويم، فوكلنا ذلك الى قضاة البلدان، والزمانهم القيام به والفحص عنه مع الأعيان، لأن موضوع القضاء إنما هو لرفع المشكلات، وتمييز الحقائق من المتشابهات، والفصل بعد التبرم في الدعاوى والمنازعات، ومع هذا فنقول: إن هؤلاء الرافعين لو وجدوا في بلادهم اشكاء، وألفوا عند متقلدى الأمور لرد ظلاماتهم وفاء، لما تجشموا إلينا بعد الشقة، ولا تحملوا نحونا عظيم المشقة، ولولا أننا نخليهم من التعسف، وسوء التكلف، لشددنا في جهة القضاء عارضة الكلام، ولثقلنا عليهم وطأة الملام، وقد قلدناك تقليداً تاماً أن تنظر بجهتك من شكاوى العامة فى اللطيف والجليل، وسمناك القيام

(١) ابن محمد عبد الله بن أحمد بن عمر القيسى المالقي، ولد سنة ٤٥٦هـ وتولى قضاء مالقة وكانت وفاته سنة ٥٤٢هـ.

بالخفيف منها والثقل، فتفقد ما قبلك حق تفقده (٧٨ب) وتعهده أحق تعهده، فإنك إذا أمعت التطلع، وأدمنت إلى جانب الرعية التلفت والسمع، لم تشذ عن علمك ما يجرى ببلدك لاجتماعه وانحصاره، وتقارب ما بين مسافته وأقطاره، وإن حقاً على الجار أن يفرج ضغطة جاره، فاستكشف - وفقك الله - الأحوال وتعرف صورها، واستعلم مع الرعية شأن الرعية وخبرها، فكل ما رفعته إليك من أحوالها، ونظمت فيه من عمالها، أجرته مع الحق كيف جرى، وعمت بالنظر، ولم تخص قضية دون أخرى، فكل بك معصوب، وأنت عنه محاسب وبه مطلوب، ومدار هذا الأمر اختيار الحكام الذين استنبهتهم في أقطارك القاصية، ونصبتهم في الجهات النائية، فشرطهم الثقة والديانة، والصون والأمانة، فإنهم إذا كانوا بهذه الصفة جرت أمورهم على سبيلها القاصد، وسيرها الراشد، وأمنت في جهات الرعية والأحكام، وأمن بك فيها من اللبس والمداخلة مع الأيام، فلا تقلد عملك إلا معروفاً بلطف النفس والعفاف، ونقياً يقنع بالكفاف، ويتزهر عن الإسفاف، رنحفظ من كل منهوم لا يشبع، ومسف لا يتورع، فالحرص أصم أعمى لا يرى ولا يسمع، وبعد توليك إياهم فأشرف عليهم إشرافاً يتعقب أحوالهم، فمن رأيت منه جنفاً، أو نقص عليك من أطراف الحق طرفاً، صرفته مذموماً، وأخرته ملوماً، فتفقد هذا من أمورهم، فإنك مضطر إليه في الديانة، وفيما يباشرونه من أمور الرعية التي لا ترضى بهضمها، ولا تقر أحدًا على ظلمها، ومما نعيده (١٧٩) وتتقدم إليك فيه أمر اللوازم الجارية هناك أن تصفحها وتلمحها، فما لم يكن منها في عهدنا موجوداً، ولا من قبلنا محدوداً، ولا في مصالح المسلمين معدوداً، فهو رد على كل وال رسمه، ومصروف على كل من ألزمه، لا يؤدي منه نقير، ولا يحمل منه فتيل، وأي عامل من عمال الرعية قامت الشهادة عندك بتعديه، وعلمت صحة استهدافه وتصديه، فإنه أمره إلى صاحب البلد مستعمله وموليه وأشعره بما ثبت عندك فيه، فإن غل يد أذيته، وأنفذ عزله عن رعيته، وإلا فأخفف ذلك إلينا في سائر ما يتوقف لديك من الأمور التي تقصر عنها يدك، وتقطع دون النفوذ فيها غايتك وأمدك، لينفذ من عندنا ما يقف منازعك عنده، ويسهل لك كل صعب بعده، ومما تفقده من أحوال الرعية ما يؤخذ به الحاضر عن الغائب، ويطلب به الباقي بعد الذهاب، فهذا الصنف أيضاً من الظلمات تبطله وترد حكمه، وتعفى أثره ورسمه، وأمر الزكوات

على تباينها في الصفة، وأنواعها المختلفة، تجرى على موجب فريضتها، وتوقف على حد شريعتها، لا تحرف ولا تبدل، ولا تصرف عن جهتها ولا تعدل، هذه - أعزك الله - أمثال مضروبة، وهدايات منصوبة، وقوانين موضوعة، وأعلام على طرق الحق مرفوعة، قد تبرأنا إليك من وزرها، وتخففنا بإسنادها إلى نظرك من إصرها، وفي أكثرها كانت الأرفاع ترد، وعصائب المتظلمين تحتشد، وأنت إذا كشفت غيبتها ونفضت طرقتها، وأعطيتها من بحثك (٧٩ب) وتأملك حقها، ارتفعت الشبهة، وانزاحت العلة، وتوفرت على المسلمين الرحلة، وهدأت الرعية وتفرغت لأشغالها، ولزمت صالح أعمالها، فانظر في هذه الأمثلة والجمل إلى أقصى ما ينقسم إليه أقسامها، وقفها على حد ما تقف عليه الشريعة وأحكامها، واكفنا ما استكفيناك، وانهض نهوض المستقبل بما حملناك، وأي عذر لك وقد شددنا من أزرك، وعضدنا من أمرك، وإن تطلّعنا لو كيد لما نجدده عندك من التفوذ، هذه الوصايا الجامعة، والحجة المبالغة، وستبلغنا الأنهاء، ويتصل بنا الشاء، وبعد ذلك الثواب والجزاء، لا إله غيره، والسلام، أعزك الله ليقرأ الكتاب على الكافة بالمسجد، فإن فيه زجراً للمعتدين، وأخذاً فوق أيدي المسفدين، وبلاغاً يحمله ويصيره الراكب ويتلقاه عن الشاهد الغائب إن شاء الله تعالى (١).

(١) انظر: محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ - سنة ١٩٥٩م ص ١٧٠ - ١٧٤.

## ملحق (٤)

رسالة كتب بها قاضى سرقسطة والجمهور فيها إلى الأمير  
أبى الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين حين حاصرها ابن رزمير  
وأستغلبها أعادها الله

من ملتزمى طاعة سلطانه ومستنجديه على أعداء الله ثابت بن عبد الله وجماعة  
سرقسطة من الجمهور فيها من عباد الله .

أطال الله بقاء الأمير الأجل، الرفيع القدر والمحل لحرم الإسلام يمنعه... (١) من  
كرب عظيم على المسلمين يزيحه عنهم ويدفعه .

كتابنا أيديك الله بتقواه، ووفقك لا شراء دار حسناء، بمجاهدة عداه يوم الثلاثاء السابع  
عشر من الشهر المبارك شعبان، عن حال قد عظم بلاؤها وأدلهمت ضراؤها، فنحن فى  
كرب عظيم وجهد أليم قد جل العزاء وعظم الخطب، وأظلنا الهلاك والعطب، فياغوثاه! ثم  
ياغوثاه! إلى الله دعوة... (٢) دعاه وأمله لدفع الضر ورجاه سبحانه المرجو عند الشدائد،  
الجميل الكرم والعوائد، وبالله ويا للسلام! لقد انتهك حماه، وفضت عراه! وبلغ المأمول  
من بغيته عداه، ويا حسرتاه على حضرة قد أشفت على شفى الهلاك طالما عمر بالإيمان  
وازدهرن بإقامة الصلوات، وتلاوة القرآن، ترجع مراتع للصلبان، ومشاهد ذميمة لعبدة  
الأوثان، وياويلاه على مسجد جامعها المكرم! وقد كان مانوسًا بتلاوة القرآن المعظم،  
تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها، ويؤملون أن يدنسوه بقبائح آثامها، ويعمره بعبادة  
أصنامها، ويتخذوه معاطن لخنازيرها ومواطن لخماراتها ومواخيرها، ثم يا حسرتاه! على  
نسوة مكنونات عذارى، يعدن فى أوثان الأسارى، وعلى رجال أصبحوا حيارى بل هم  
سكارى وما هم بسكارى، ولكن الكرب الذى دهمهم شديد والضر الذى مسهم عظيم  
جهيد، من حذرهم على بنيات - كن من الستر بخيار الوجوه - أن يروا فيهن السوء

(١) ناقصة فى الأصل.

(٢) ناقصة والغالب أنها (مؤمن).

والمكروه، وقد كن لا يبدون للنظار، فالآن حان أن يبرزن إلى الكفار، وعلى صبية أصفال قد كانوا نشثوا فى حجور الإيمان، يصيرون فى عبيد الأوثان أهل الكفر وأصحاب الشيطان .

فما ظنك أيها الأمير بمن يلوذ به بعد الله الجمهور بأمة هى وقايد هذه العظام الفادحة، والنواب الكالحة؟ هو المطالب بدمائها إذا أسلمها فى آخر ذمائها، وتركها أغراضنا لأعدائها، حين أحجم عن لقاءها، فإلى الله بك المشتكى ثم إلى رسوله المصطفى، ثم إلى ولى عهدة أمير المسلمين المرتضى، حيث ابتعثك بأجناده وأمدك بالجم الغفير من أعداده نادبًا لك إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته، والمتجملين السبعة الأشهر الشدائد الهائلة فى جنب موالاته ومشايعته، من أمة قد نهكهم ألم الجوع وبلغ المدى بهم من الضر الوجيع، قد برح بهم الحصار، وقعدت عن نصرتهم الأنصار، فترى الأطفال بل الرجال جوعا يجرون، يلوذون برحمة الله ويستغيثون ويتمنون مقدمك بل يتضرعون، حتى كأنك قلت فيها: اخسأوا فيها ولا تكلمون! وما كان إلا أن وصلت وصل الله برك بتقواه على مقربة من هذه الحضرة ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصرة بتلك العساكر التى أقر الله بهاؤها وسر النفوس رهاؤها، فرعان ما انثيت وما انتهيت! وارعويت وما أذيت! خايا عن اللقاء ناكصًا على عقبيك عن الأعداء، فما أوليتنا عنا بل أوليتنا بلاء، وعلى الداء داء، بل أدواء، وتناهت بنا الحال جهدًا والتواء، بل أذلت الإسلام والمسلمين واجترحت فضيحة الدنيا والدين! .

فيا لله ويا للإسلام! لقد اهتضم عرمة وحماء أشد الاهتضام! إذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الإحجام، ونكصت عن لقاء عدوة وهو فى فئة قليلة وأمه رذيلة، وطائفه قليلة يستنصر بالصلبان والأصنام، وأنتم تستنصرون بشعائر الإسلام، وكلمة الله هى العليا ويده الطولى، وكلمة الذين كفروا السفلى، وإن من وهن الإيمان وأشد الضعف الفرار عن الضعف، فكيف عن أقل من الصنف؟ فما قبج من بالصغار وسيم خطه الخسف، فما هذا الجبن والفرع؟ وما هذا الهلع والجزع؟ بل ما هذا العار والضيع؟ أتحسبون يا معشر المرابطين وإخواننا فى ذات الله المؤمنين أن سبق على سرقسطة القدر بما يتوقع منه المكروه والحذر أنكم تلبعون بعدها ريقًا، وتجدون فى ساير بلاد الأندلس - عصمها الله ..

مسلكا من النجاة أو طريقاً؟ كلا! والله ليسومنكم الكفار عنها جلاء وفراراً وليخرجنكم منها داراً داراً! فسرقسطة حرسها الله هي السد الذي إن فتق فتقت بعده أسذاد والبلد الذي ان استبيح لأعداء الله استبيحت له أقطار وبلاد! .

فالآن أيها الأمير الأجل! هذه أبواب الجنة قد فتحت، وأعلام الفتح قد طلعت، فالمنيعة ولا الدنية! والنار ولا العار! فأين النفوس الأبية؟ وأين الأنفة والحمية؟ وأين الهمم المرابطية، فلتقدح عن زنادها بانتضاء جدها وامتناء جدها واجتهادها، وملاقة أعداء الله وجهادها، فإن حزب الله هم الغالبون، وقد ضمن تعالى لمن يجاهد في سبيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره، في هذا أيها الأمير الأجل؟ ألا ترغب في رضوانه واشتراء جناته بمقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمانه؟ فاستعن بالله على عدوه وحره، واعمد به بصيرة في ذات الله إلى أخوان الشيطان وحزبه، فإنهم أغراض للمنايا والحتوف، ونهز للرماح والسيوف، ولا ترض بحطة العار وسوء الذكر والصيت في جميع الأمصار ولا تكن كمن قيل فيه:

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ولا يرا من العدو فتيلاً

ولن يسعك عند الله ولا عن مؤمن عذر في التأخير والارعواء عن مناجزة الكفار والأعداء، وكتابنا هذا أيها الأمير اعتذار تقوم لنا به الحجة في جميع البلاد، وعند سائر العباد، فياسلامكم إيانا إلى أهل الكفر والالحاد، ونحن مؤمنون، بل موقنون من إجابتكم إلى نصرتنا، وإعذاذك إلى الدفاع عن حضرتنا، وأنت لا تتأخر عن تلبية نداءنا ودعائنا إلى استنقاذنا من أيدي أعدائنا، فدفاعك إنما هو في ذات الله وعن كلمه... (١) ومحاماتك عن الإسلام وحزبه، فذلك الفخر الأنبل لك في الأخرى والدنيا، ومورث لك عند الله المنزل العليا، فكم تحيي من أمم، وتجلي من كرب وغم!

وإن تكن منك الأخرى، وهي الأبعد عن مائة دينك وصحة يقينك فأقبل بعسرك على مقربة من سرقسطة - عصمها الله ليخرج الجميع عنها ويبرأ إلى العدو وقمة الله منها ولا تتأخر - يكفما كان - طرفه عين، فالأمر أضيح والحال أزهق فعد بنا من المطل والتسويق قبل وقوع المكروه والمخوف، وإلا فأنتم المطالبون عند الله بدمائنا وأموالنا،

(١) ناقصة في الأصل ولعلها (الحق).

والمسؤولون عن صبيتنا وأطفالنا، لإحجامكم عن أعدائنا، وتببطكم عن إجابة ندائنا، وهذه حال نعيذك أيها الأمير الأجل عنها، فإنها تحملك من العار ما لم تحمله أحدًا، وترثك وجميع المرابطين الخزي أبدًا، فالله الله اتقوه وأيدوا دينه، وانصروه، فقد تعين عليكم جهاد الكفار، والذب عن الحريم والديار، قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ الآية، وقد برئتم بإسلامنا للأعداء من نصر الإسلام وعند الله لطف خفي، ومن رحمته ينزل الصنع الحفي ويفنينا الله عنكم، وهو الحميد الغني!

ومن متحملي كتابنا هذا، وهم ثقاتنا، تقب من كنه حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب، ولا استوعبه الإطناب بمنه وله أتم الطول في الإصغاء إليهم واقتضاء ما لديهم إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته<sup>(١)</sup>.

## ملحق (٥)

«رسالة من أمير المسلمين على بن يوسف إلى أهل الأندلس»

كتابنا أبقاكم الله، وأكرمكم بتقواه، ويسركم لما يرضاه، ووفد حظوظكم من حسناه، يوم كذا من عام كذا، ويتأدى إليكم من قبل واليكم، وخليفتنا فيكم، وهو النائب عنا في تدبيركم، وبإقامة أموركم، وسياسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحد معه في شيء من ذلك يد ولا مع مشهده إلا بادنه وإباحته مشهد، قد فوضنا إليه في ذلك كله، وأفردنا النظر في دقه وجله، وكشره وقله، ولن يالوكم نظراً يصلح لكم، وينجح أعمالكم ويحسن به الله عقبكم ومآلكم، وهو بلساننا متكلم، وعمّا في ضميرنا مترجم، وفي قالب رأينا مفرغ، وعلى متواله مسد وملجم، ما أمضاه أمضينا، وما وقفه وقفناه، فاسمعوا منه في ذات الله (٨ب) وأطيعوه، ولا تخالفوه فيما يراه من مصالحنا ومصالحكم ولا تعصوه، وما دعاكم إليه فابتدروه، وما حد لكم اجتنابه فاجتنبوه، وإياكم وما يسخطه من التشغيب عليه فيما يتحبه، والفقهاء الأجل القاضي أبو فلان يصل في ذات الله على سنن الحق يده، ويقصد مقصده، وكذلك ألو الرأي من جميعكم يكون معه جماعة، وعلى حبل ذراعه طاقة، ويهدون إليه ما يغيب عنه من أمور سائركم، ويطلعونه على ما يخفى عليه من أحوال أكابرهم وأصاغرهم، حسبنا هذا توصية، وتذكرة جامعة مستوفية، ولا حجة بعد لمن جار عن السنن، وخالف الواجب عليه المتعين، ولا يلم من خالف عهدنا، وتعدى قصدناه إلا رأيه ونفسه الأمانة بالسوء، وبالله التوفيق والسلام<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: محمود على مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - المجلد السابع العدد ١-٢-١٣٧٩هـ - سنة ١٩٥٩م ص ١٧٥، ١٧٦.

## ملحق (٦)

رسالة من

الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

إلى أخيه السيد أبي سعيد عثمان وأصحابه الطلبة بقرطبة، يوصى فيها بأن تجرى الأحكام وفقاً للعدل وتحري الدقة، وألا يقضى في أمر الدماء إلا بعد رفعه إلى الخليفة، من إنشاء الوزير الكاتب أبي الحسن بن عياش، ومؤرخه في شهر رمضان سنة ٥٦١هـ.

(منقولة عن كتاب «المن بالإمامة» لابن صاحب الصلاة مخطوط أكسفورد لوحات ٧٩ب - ٨٢ب).

ونشرها العلامة جولدسيهر في بحثه:

(Materialien zur Kenntniss der Almohaden Bewegung) P.134 - 138.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده  
من الأمير يوسف ابن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته، إلى الشيخ  
الأجل أختنا الأعز علينا، الأكرم لدينا، أبي سعيد وأصحابه، الطلبة الذين بقرطبة أعزهم  
الله، ودام كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإننا نحمد إليكم الله  
الذي لا إله إلا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلى على محمد نبيه المصطفى  
ورسوله، ونرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم نجله وسليته، ونوالى الدعاء  
لسيدنا أمير المؤمنين القائم بأمره والداعى إلى سبيله، وإننا كتبناه إليكم أكرمكم الله بتقواه،  
وكلأ جانبكم وحماهم، من حضرة مراکش حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى،  
والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وموالاته شكره على ما هدى أولياء أمره،  
وأنصار دعوته، وحماة كلمته، من صرف أعنة المحبة والاهتمام، وإحكام منابر الأحكام،  
فيما وكله إليهم من أمور الإسلام، إلى أن تجرى على السداد، وتنسق على سبيل الإرشاد،  
وتقيم على المهيع، وتمضى على المنهج، وتسير في الواضح، وتهتدى على اللاحب،

ويسلك بها في الجدد، الذي من سلكه أحمدت منه الآثار، وأمن عليه العثار، وارتضى له الإيراد والإصدار، فيكون العمل فيها على اليقين، الهادى إلى الصراط المستبين، المأمون فى سلوكه من المزلّة والضلال، المرجو فى الاهتدا به حسن العاقبة وصلاح الحال، فساله تعالى جده عونًا من قبله على هذا الغرض العام الجدوى يصاحب، وتوفيقًا من لدنه فى هذا النظر الشامل المنفعة يجاور ويصاقب، وأنه أدام الله كرامتكم، لما كانت مبانى هذا الأمر العزيز أدامه الله على التقوى مؤسسة، وأوامره ونواهيه على الله ورسوله جرية مترقبة، وإليها فى الأخذ والتركة مستندة، وبمقتضياتها فى جميع الأحكام آخذة عاملة، إذ هى نور الحق وسراجة، وعمود الصدق ومعراجة وسبيل الفوز ومنهاجها، ورائد الثواب وبشيرها، وقائد العقاب ونكيرها، فمن اتم بكتاب الله، الذى هو الإمام المنادى والحق الواضح البدى، وبسنة رسوله ﷺ، التى جعل العمل بها كالعمل بكتابه، والوقوف عند حدها كالوقوف عند حده، أمن من الغوائل، فى العاجل والآجل، وبلغ من السلامة فى الحالين إلى أقصى أمد الأمل، ولم يوجد للباطل إليه سبيلا، ولم يتمكن للشيطان أن يجد فى تضليله واستهوائه صرفًا ولا حويلا، فتوفرت الدواعى على الدعاء إليها، وحمل الكافة عليها، وأخذ الجميع بما يفقههم لديها، وقد أمر الله تعالى، من أمر الناس بطاعته، أن يحكموا بالعدل ويضعوا للعد موازين القسط، فلم يكن لهم بد من امتثال أمره، والاستناد إلى حكمه، وكانت الوجوه التى تفضى إلى الحق، فى فصل قضايا العباد متنبهة، والطرق المؤدية إلى معنى الصدق ومعناه ملتبسة ومتشعبة، فخرج فيها بنيات تخطى الصراط المستقيم، وتضل الضلال البعيد، فصار إمضاءها من غير استناد إلى هذا الهدى المتبوع، والعلم المرفوع، خطرًا على ممضيها، وإنفاذها على غير هذا السنن غررًا على منقذها، ولما كان الأمر كذلك، تعين ووجب وثبت وترقب، أن نخاطب جميع عمال بلاد الموحدين أعزهم الله، شرقًا وغربًا وبعدًا وقربًا، خطابًا يتساوى فيه جميعهم، ويتوازى فى العمل فيه كافةهم، بالألا يحكموا فى الدماء حكمًا من تلقائهم، ولا يريقوها بباد أو رأى من آرائهم، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم، ويتقرر فيما يروقه لديهم، إلا بعد أن تُرفع إلينا النازلة على وجهها، وتؤدى على كنهها، وتشرح حسب ما وقعت عليه، وتنتهى بالتوثوق والبيان إلى ما انتهت إليه، وتقيّد بالشهود العدول، المعروفين فى مواضعهم بالعدل

والرضا، الموجبين للقبول، وتكتب أقوال المظلومين وحججهم، وإقرارهم واعترافهم، وحجج الظالمين في مقالاتهم واستظهارهم في بياناتهم، مُعطى كل جانب حقه، موفى كل قائد قوله، فتكون مخاطبتكم أعزكم الله، ومخاطبة من يتناول هذا الكتاب وتوجه إليه هذا القصد، خطاب من تحمّل الشهادة ويؤدى فيها أمانة، على ما يجب من البيان الذى لا يعتوره التباس ولا يطمس وجهه إشكال، ويتوثقون فى المظلومين بالدماء بسجنهم وثقيفهم، ويتوكفون ما تصلكم به المخاطبة، فتقفون عند مقتضاه، ولا يعدلون عن شيء من معناه، مراقبًا كل منكم إلهه ومولاه، علمًا بأنه يعلم سره ونجواه، وأنه يسمعه ويراه، واعلموا وفقكم الله وأسعدكم، أن هذا الحكم عام فى جميع النوازل، التى أطلقت السنة فيها القتل وسنته، وحكمت به وشرعته، كمن قتل نفسًا وأقر بالقتل، أو شهد العدول عليه به، ومن بدل ديننا وارتد عنه، ومن أتى الفاحشة بعد الإحصان، باعتراف أو دليل أو شهادة مقبولة، وما خير الأئمة فيه من قتل المحاربين والساعين فى الأرض بالفساد، والمتأملين أمر الله بالاستهزاء والعناد، سواء سُن ذلك كله أو وقع فيه ضرب يشاكله مجراه، واحد فى التوقف عن إمضائه، والتأخر عن تنفيذه، إلا بعد المطالعة، وتعرف وجه العمل من المجاوبة وكذلك وفقكم الله يكون التوقف فيما عدا المذكور من النوازل، التى يكون [فيها] أحكام دون النفوس من قتل الخطأ وديات الشجاج، وعقول الأعضاء، وأرش الجراحات، ووجه القصاص، والقطع فى السرقات، إلى غير ذلك من القضايا المشكلة فى الأموال وإطلاقها واستحقاقها، وفى الرقاب وإعتاقها واسترقاقها، وملتبسات المناكحات والمعاملات، وما أشبهها من الأمور التى الإقدام على الحكم فيه تهجم، والعمل فيها بغير استناد إلى ما يجب تسور، فتوقفوا أعزكم الله عن جميع ما فُسر لكم، ولو أخفه توقف الساعى فى نجاته، العامل لديناه وآخرته، وقد ورد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله من الخطر الركيل، والوعيد الشديد، فى إراقة الدماء، واستباحة الأموال، واستحلال الحرمات إلا بوجه صحيح، لا يسلم إلا من طريق العصمة، ولا تهتدى إليه إلا أنوار الحكمة، ما يزع العقلاء، ويكف الألباء، ويحذرهم من سطو الله وعقابه، ويخوفهم من أليم عذابه، فعولوا على ما رسم فى هذا الكتاب، من التعريف بما يبطن وإنهاء كل ما ينزل، ليتصلكم من التوقيف، والبيان والتعريف، لما يظهر لكم به بركة الاقتداء، وتستبرق منه عليكم أنوار

الائتمام والاهتداء، ويتراءى لكم به الحق في صورته الصادقة، ومثله المطابقة، ومناظره الموافقة، ومطالعه المشرقة، بفضل الله ورحمته، وملاك ما يسد مقاصدكم في جميع أحوالكم، ويوجب لكم الرضا في كافة أقوالكم وأفعالكم، تقوى الله في السر والجهر، وخفيته في الباطن والظاهر، وقدع النفس عن هواها، وكبحها بلجام النهى عن الرخص في ميدان رداها، وطاعة أمره العظيم والجرى على سننه المستقيم، فلذلك عصمة من الزلل، وتوفيق في القول والعمل بفضل الله، وقد وجب أكرمكم الله لهذا الكتاب، بما انطوى عليه من الأغراض الشاملة المنفعة، العامة المصلحة أن يعطى حقه من الإشاعة والتشهير، ويهض مقتضاه إلى الصغير والكبير، ويجمع الناس لقراءته وتلقى مضمته، ويساوى فيه بين الغائب والشاهد، والبادى والحاضر، بإسماع من حضر ومخاطبة من غاب، ممن يتعلق بنظركم ويدخل تحت عملكم، ليأخذ الجميع بقسطه من المسرة، وتعرف بركته واستشعار عائدته، وأنسه بما أمر به هذا الأمر العزيز، من إفاضة العدل، وبسط الدعة والأمن، وإقامة أمر الله تعالى على وجهه المتعين، وسننه الواضح المبين، إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وتعالى وبركاته، كتب في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة إحدى وستين وخمسمائة.

## ملحق (٧)

## رسالة

من الخليفة أبى يعقوب يوسف

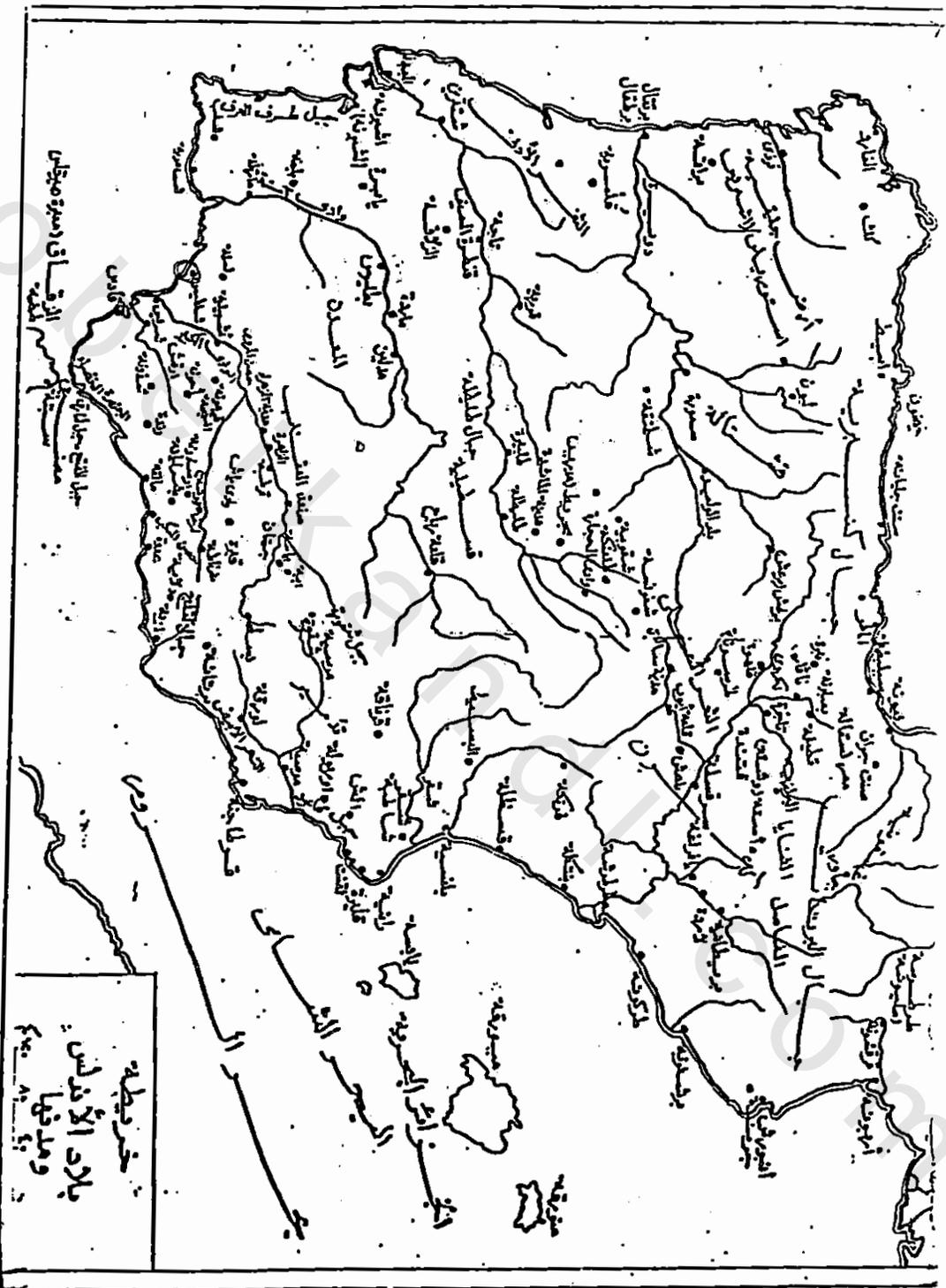
إلى الطلبة الذين بغرناطة، يشير فيها إلى وصول بيعتهم مع أشياخ غرناطة، وينوه بولائهم ووفائهم، ويوصى بإكرامهم وبرهم.

(منقولة عن كتاب «المن بالإمامة» مخطوط أكسفورد لوحة ١٠٥ ب)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم

والحمد لله وحده، من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيده الله بنصره، وأعزه بمعاونته إلى الطلبة الذين بأغرناطة أكرمهم الله بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وتعالى وبركاته، أما بعد فإننا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلى على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضا عن الإمام المعصوب، المهدي المعلوم، القايم بأمر الله والداعى إلى سبيله، ونوالى الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام أمير المؤمنين مسنى أمره العزيز إلى غاية تتميمه وتكميله، فإننا كتبناه إليكم أكرمكم الله بتقواه من حضرة مراكش حرسها الله والذى نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه، وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من إغرناطة، حرسها الله والموحدين، وفق الله جميعهم، ووقفنا عليه، ورأينا ما تحملوه عن الموحدين بأغرناطة، حرسها الله وجيرانهم من انعقاد لإجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ أهل [الهدى] وأعيانهم من الأمر الذى أوجبوا على أنفسهم المبايعه عليه، وأعطاه صفقة اليد فيه، وقد وفقهم الله لما وفق إليه أهل أمره، وذوى العصمة من طايفته، الله تعالى يتقبل منهم عملهم ويعرفهم بركة ما التزموه، ويعينهم على القيام بواجبهم والوفاء بحقه وقد انصرف هؤلاء الأشياخ المذكورين بعد إقامتهم بهذه الحضرة ونيلهم بركاتنا، ما يجدون أثره فى أحوالهم (وسريان) الانتفاع به

فى أقوالهم وأعمالهم، فاعرفوا لهم حق وفادتهم ومكان وفادتهم أحمالوهم خيراً بهم على  
الرعاية المتصلة، والمبرة الحافلة المشتملة، إن شاء الله تعالى، والله ولى عونكم  
وصوبكم، لا رب غيره، والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله وبركاته، كتب فى  
الثانى عشر من شوال عام ثلاثة وستين وخمس مائة.



خريطة  
 بلاد الأندلس  
 ومدنها  
 ١٥٠٠





المصادر

obeikandi.com

## أولاً: قائمة المخطوطات:

- ١- البرزلى: (أبى القاسم بن أحمد البلوى البرزلى)  
جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتين والحكام، الخزانة الملكية  
(الرباط) رقم ٤٨٨٤ .
- ٢- التادلى: (أحمد بن القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز الهروى)  
كتاب المعزى فى أخبار مناقب الشيخ سيدى أبى يعزى رقم ١٢٤٩ دار  
الكتب المصرية
- ٣- ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة، مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ .  
رقم الحلل فى نظم الدول  
مكتبة باريس الوطنية  
5020  
٥٠٢٠
- ٤- ابن رحال: (أبى الحسن على)  
كشف القناع عن مسائل الصناع  
الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د .
- ٥- ابن أبى زرع: (أبو الحسن على بن محمد)  
الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس  
مخطوط دار الكتب الوطنية باريس  
١٨٦٨  
1868
- ٦- ابن أبى زمنين: (أبو عبد محمد)  
كتاب قدوى الغازى، ورقة ٢٩، مخطوط رقم ٥٧٥ المكتبة الوطنية مدريد

٧- ابن سهل: (أبو الأصمغ عيسى)

ت ٤٨٦ هـ - ١٠٩٣ م

الأعلام بنوازل الأحكام

المعرفة بالأحكام الكبرى

مخطوط بدار الكتب المصرية

٨- السيوطي: (عبد الرحمن بن أبي بكر)

ت ٩١١

البستان في أخبار الزمان

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٢٤

٩- الشطبي: (محمد الشطبي المغربي)

كتاب الجمان في أخبار الزمان

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٤١٦

١٠- العيني: (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسن)

ت ٨٥٥ هـ

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

مخطوط رقم ١٥٨٤ دار الكتاب

١١- العمري: (ابن فضل الله العمري)

ت ٧٤٨ هـ

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

مخطوط دار الكتب المصرية

ج ٢ قسم ١٦

١٢- النويرى: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)

ت ٧٧٥هـ

نهاية الأرب فى فنون الأدب

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩

١٣- مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية

دار الكتب الوطنية باريس

1873

١٨٧٣

١٤- المقرى: (أبى العباس أحمد المقرى التلمسانى)

ت ١٠٤١هـ

عرف الطيب فى أخبار ابن الخطيب

دار الكتب الوطنية باريس

1883

١٨٨٣

## ثانياً: المؤلفات العربية القديمة (المصادر)

١- ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) ٣٢

ت ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م.

- الحلة السبراء: جزاءن تحقيق حسين مؤنس سنة ١٩٦٣

- التكملة لكتاب الصلة، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦، طبعة مدريد ١٨٨٨ -

١٨٨٩ تحقيق كوديرا.

- المعجم فى أصحاب أبى على الصدقى، تحقيق كوديرا وزيدىن مجريط

روخس سنة ١٨٨٥م.

٢- ابن الأثير: (على بن أحمد بن أبى الكرم)

ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٨هـ

- الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٦٧ ومطبعة الاستقامة

٣- الإدريسى: (محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف)

ت ٥٥٨هـ - ١١٦٣م

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس

نشر دوزى ودى غويه، طبعة ليدن ١٨٦٦م

٤- الأشيلى: (ابن العوام)

توفى آخر القرن السادس

- كتاب الفلاحة باعتناء بانكورى

مدريد ١٨٠٢م

٥- الإصطخرى: (أبو أسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الإصطخرى المعرف بالكرخى)

ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى

«المسالك والممالك»

٦- ابن أبى أصيبعة: (موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الصفدى الخزرى)

ت ٦٦٧هـ - ١٢٧٠م

- عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، نشر نزار رضا

بيروت سنة ١٩٦٥

٧- ابن بسام: (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب)

ت فى القرن التاسع الهجرى

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائى

- مطبعة دار المعارف بغداد سنة ١٩٦٨م

٨- ابن بسام: (أبو الحسن على بن بسام الشترى)

ت ٩٤٢هـ - ١٥٣٥م

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

تحقيق إحسان عباس

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

القسمان الأول والرابع، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩

- ١٩٤٥

٩- ابن بشكوال: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)

ت ٥٧٨هـ - ١١٨٢م

- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم

القاهرة سنة ١٩٦٦م

١٠- ابن بصال: (أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال)

- كتاب الفلاحة تحقيق بيكر وسا ومحمد عزي مان، تطوان، منشورات

محمد مولاي الحسن ١٩٥٥

١١- ابن بطوطة: (أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى) ٧٧٩ هـ - ١٣٧٨

- تحفة النظر فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

نشر وترجمة Defremary et sanguinette

باريس سنة ١٩٢٢م، وطبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧م

١٢- البغدادى: (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى)

ت ٧٣٩ هـ - ١٣٣٨م

مراسد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع

- ثلاثة أجزاء (القاهرة سنة ١٩٥٤)

١٣- البكرى: (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى)

ت ٤٨٧ هـ - ١٠٩٧م

- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب نشر دى سلان سنة ١٩١١م

١٤- ابن بلقين: (عبد الله)

- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة نشرة ليفى

بروفنسال، القاهرة دار المعارف سنة ١٩٥٥

١٥- ابن البناء: (أبى العباس المراكشى)

- رسالة فى الاتواء

١٦- البيدق: (أبو بكر الصنهاجي) (القرن السادس الهجري)

- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين

نشر ليفي بروفنسال سنة ١٩٢٨ باريس، طبعة الرباط وطبعة دار المنصور  
سنة ١٩٧١.

١٧- التادلي: (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن)

ت حوالي ٩١٧ هـ

- التشوف إلى رجال التصوف، نشره وصححه أدولف فور سنة ١٩٥٨  
الرباط

١٨- التطيلي: (ديوان الأعمى التطيلي)

١٩- ابن تومرت: (المهدي محمد بن عبد الله)

ت ٥٢٤ هـ

- أجز ما يطلب، مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت  
الجزائر ١٩٠٣ م

٢٠- ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، دمشق سنة ١٩٦٧

٢١- ابن جبير: (الحسين محمد بن أحمد)

ت ٤٥٦ هـ

- رحلة ابن جبير، بيروت سنة ١٩٥٩

- نشر حسين نصار القاهرة سنة ١٩٥٥

٢٢- الجزنائي: (أبو الحسن علي)

- زهرة الآس في بناء مدينة فاس سنة ١٩٢٢ م - ١٢٤٠ هـ

الجزائر طبع باعتناء الفريدبل

٢٣- ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد)

ت ٤٥٦ - ١٠٦٣ م

- جمهرة أنساب العرب

- جمهرة ليفي برونسفال - دار المعارف، تحقيق عبد السلام هارون القاهرة  
سنة ١٩٧١ م.

- الرد على ابن النغيلة اليهودي

تحقيق إحسان عباس، القاهرة دار العروبة سنة ١٩٦٠

٢٤- أبي الحسن: (علي بن يوسف الحكيم)

ألف كتابه في القرن الثامن الهجري

- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة

تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة  
١٩٥٨ م

٢٥- الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العظيم)

ت ٨٦٦ هـ - ١٤٦١ م

- الروض المعطار في خبر الاقطار قطعة مأخوذة من كتاب صفة جزيرة  
الاندلس تحقيق ليفي برونسفال - القاهرة ١٩٣٧ م

٢٦- الحميدى: (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي)

ت ٤٨٨ هـ - ١٠٩٥ م

- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس

ضمن المكتبة الأندلسية سنة ١٩٦٦ م

٢٧- ابن حوقل النصيبي: (أبو القاسم محمد بن علي)

ت في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري

- كتاب صورة الأرض

نشر مكتبة دار الحياة - بيروت

٢٨- ابن خاقان: (الفتح بن خاقان)

ت ٥٢٩هـ - ١١٣٤م

- قلائد العقيان في محاسن الزمان ط ١ سنة ١٣٢٠هـ مصر

المطبعة العتيقة بتونس تقديم محمد العناني

٢٩- ابن الخطيب: (لسان الدين بن الخطيب السلماني)

ت ٧٧٦هـ - ١٣٧٤هـ

- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام

القسم الثاني تحقيق ليفي برونسال - الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦م

- أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد

إبراهيم الكتاني، تحت عنوان «تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط»

سنة ١٩٦٤م

- الإحاطة في أخبار غرناطة ٤ أجزاء

تحقيق محمد عبد الله عنان القاهرة سنة ١٩٧٣م

- اللوحة البدرية في الدولة النصرية.

- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب (مجموعة من رسائله) نشر أحمد

مختار العبادي - الإسكندرية سنة ١٩٥٨.

- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب

نشر أحمد مختار العبادي - القاهرة سنة ١٩٦٧

- كناسة الدكان بعد انتقال السكان

نشو محمد كمال شبانة - القاهرة ١٩٦٦م

- رقم الحلل في نظم الدول - تونس سنة ١٣١٧هـ

٣٠- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد)

ت ٨٠٨ هـ

- العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبنبر ومن  
عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ٧ أجزاء.

- المقدمة، طبعة دار الشعب، طبعة بيروت سنة ١٩٧١، سنة ١٩٧٩  
وطبعة الكشاف، منشورات مؤسسة الأعلى

٣١- ابن خلدون: التعريف برحلته شرقاً وغرباً، نشر محمد بن تاويت

٣٢- ابن خلكان: (أبى العباس أحمد بن خلكان)

ت ٦٨١ هـ

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ أجزاء طبعة سنة ١٩٤٨ النهضة  
المصرية.

٣٣- خليفة بن خياط: انظر تاريخ خليفة ابن خياط

٣٤- ابن دحية: (أبو الخطاب عمر ابن الشيخ الإمام أبى على)

ت ٦٢٣ هـ

- المطرب فى أشعار أهل المغرب ج ١ الخرطوم سنة ١٩٥٤م

- المطرب فى أشعار المغرب، تحقيق إبراهيم الأبيارى، القاهرة،  
المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٤م.

٣٥- ابن أبى دينار: (محمد بن القاسم الرعنى القيروانى)

- المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ط ١ تونس ١٢٨٦ هـ

٣٦- ابن رشد: (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى الأندلسى)

الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ - ١١٩٩م

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد جزءان، راجع أصوله وعلق عليه عبد الحلیم  
محمد عبد الحلیم، طبعة دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨٣م - ١٤٠٣ هـ

٣٧- ابن الزبير: (أبو جعفر أحمد) القسم الأخير، تحقيق ليفي بروفنسال

- وهو ذيل للصلة البشكوائية، الرباط، المطبعة الاقتصادية سنة ١٩٣٧

٣٨- الزجالي: (أبي يحيى)

عاش في القرن السابع

- أمثال العوام في الأندلس، قسم ٢ استخراجها وحققها محمد بن شريفة،

فاس سنة ١٩٧١م

٣٩- ابن أبي زرع: (أبو الحسن علي بن عبد الله)

ت ٧٤١هـ - ١٣٤٠م

- الأيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة

فاس، دار المنصور، الرباط سنة ١٩٧٢م وطبعة الرباط تحقيق الهاشمي،

الفيلاي سنة ١٩٣٦، ونسخة أخرى طبعة حجر دار الكتب، وطبعة

أوبسالة باعثناء كارل بوجن تورنبرغ سنة ١٨٤٣م - ١٨٦٤م

٤٠- الزركشي: (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن إبراهيم اللؤلؤي)

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس المكتبة العتيقة سنة ١٩٦٦م

٤١- الزهري: (أبي محمد بن أبي بكر الزهري)

- كتاب الجغرافيا

ت في حدود ٥٥٦هـ - ١١٦٠م

تحقيق محمد الحاج الصادق، دمشق المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات

العربية

٤٢- ابن أبي زيد القيرواني

- الرسالة: طبعة الجزائر

فصل في غسل الموتى وتكفينهم وتحنيطهم.

٤٣- ابن سعيد: (محمود بن سعيد مقديش الصفاقس)

ت ١٢٢٨هـ - ١٨١٣م

- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تونس ١٣٢١هـ

٤٤- ابن سعيد: (المغرب الأندلس)

ت ٦٧٣هـ - ١٢٧٤

- المغرب في حلى المغرب «جزءان»

تحقيق شوقى ضيف

٤٥- ابن سعيد: الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت سنة ١٩٧٠م، طبعة الجزائر ١٩٨٢

- رايات المبرزين - نشر غرسية غومس

٤٦- السقطي: (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالكي الأندلسي)

ت ٦٣١هـ - ١٢٣٤م

- فى أدب الحسبة

نشر ج. س كولان، وليفى بروفنسال

٤٧- ابن سهل: (أبو الأصعب عيسى)

ت ٤٨٦هـ - ١٠٩٣م

- الأحكام الكبرى مخطوط الرباط

تحقيق نورة عبد العزيز التويجى رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الملك سعود - الرياض

٤٨- ابن الشباط: (محمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى)

- صلة السمط، استخراج قسمة الأندلس

أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، سنة  
١٩٦٥م - ١٩٦٦م

مجلد ١٣، ٤١ سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨

٤٩- ابن شهيد: (أحمد بن أبى مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر -  
ابن عيسى بن الوضاح الأشجعى)

ت ٤٢٦هـ - ١٠٣٥م

- ديوان ابن شهيد الأندلس، تحقيق يعقوب زكى، مراجعة محمود على  
مكى، دار الكاتب العرب للطباعة والنشر بدون تاريخ القاهرة

- رسالة التوابع والزوابع

٥٠- ابن صاحب الصلاة: (عبد الملك)

ت نهاية القرن السادس الهجرى

- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم  
الوارثين - السفر الثانى.

تحقيق عبد الهادى التازى - بيروت ط - بيروت ١٩٦٤م وطبعة سنة  
١٩٧٩ الجمهورية العراقية.

٥١- الضمى: (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة)

ت ٥٥٩هـ - ١٢٠٢م

- بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس.

المكتبة الأندلسية مصر سنة ١٩٦٧

٥٢- الطرطوشى: أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهرى (٥٤١ هـ -

٥٢٠هـ - ١٠٥٩ - ١١٢٦م)

- الحوادث والبدع

تحقيق الطالبى تونس سنة ١٩٥٩م

٥٣- سراج الملوك الطبعة

ت ١٢٨٩هـ

٥٤- ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن

ت ٢٧٦هـ - ٨٨٩م

- كتاب فتوح أفريقية والأندلس، نشر الجزائر ١٩٤٨م

٥٥- ابن عبد الله: (محمد بن ابن عبد الله)

- مجموعة اليواقيت العصرية

مصر سنة ١٣٩٤هـ

٥٦- ابن عبد الرؤوف: (أحمد بن عبد الله)

- في أدب الحسبة والمحتسب

(ضمن مجموعة ثلاث رسائل في الحسبة)

تحقيق ليفي بروفنسال مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية

القاهرة سنة ١٩٥٥م

٥٧- ابن عبدون:

- رسالة في القضاء والحسبة

(ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة)

٥٨- ابن عذارى المراكشي

ت في أواخر القرن السابع الهجري

- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

الجزء الأول والثاني تحقيق ج. س. كولان وليفى بروفنسال دار الثقافة

بيروت

الجزء الثالث تحقيق ليفى بروفنسال دار الثقافة - بيروت

الجزء الرابع تحقيق إحسان عباس، بيروت دار الثقافة سنة ١٩٦٧م

جزء ٤ قسم ٣ القسم الموحدى، تحقيق هوشى ميراندا ومشاركة محمد ابن تاويت ومحمد إبراهيم الكتانى معهد مولاي الحسن تطوان سنة ١٩٦٠

٥٩- العذرى: (أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى)

ت ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م

- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع البستان فى غرائب البلدان والمالك إلى جميع الممالك، نشر وتحقيق عبد العزيز الأهوانى معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥.

٦٠- العمرى: (ابن فضل الله): (شهاب الدين أحمد بن يحيى الكاتب الدمشقى العمرى)

ت ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار  
- وصف أفريقية والمغرب والأندلس

تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب - تونس

٦١- عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتي

ت ٥٤٤هـ - ١١٤٩م

- الأعلام بحدود قواعد الإسلام - تحقيق محمد بن تاويت الطنجى -  
الرباط سنة ١٩٦٤م

٦٢- ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت)

٦٣- ابن غازي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي)

ت ٩١٩هـ - ١٥١٣م

- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون طبع حجر مغربي.

٦٤- ابن غالب: (محمد بن أيوب الأندلسي)

ت في القرن السادس الهجري

- قطعة من كتاب فرحة الأنفس

تحقيق لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ١ جزء

٢ سنة ١٩٥٥م

٦٥- الغبريني: (أبي العباس أحمد)

- عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية، الجزائر

المطبعة الثعالبية ١٣٢٨ ع و ط . ١٩٧٠م تحقيق رابح بونار (مجموعة

وخائر العرب)

٦٦- ابن فرحون: (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمرى)

ت ٧٩٩هـ

- الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، القاهرة

مطبعة السعادة سنة ١٣٩١هـ - ١٣٩٦م

٦٧- ابن القاضي: (أحمد بن القاضي المكناسي)

ت ١٠٢٥هـ - ١٦١٦م

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس ٢ قسم دار المنصور

للطباعة والوراثة الرباط ١٩٧٤م

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس طبعة حجر فاس سنة

١٢٠٩

٦٨- القرطبي: عريب بن سعد القرطبي

ت أواخر القرن الرابع

- تقويم قرطبة، نشرة مع ترجمة فرنسية دورى، ليدن، بريل الطبعة الجديدة، سنة ١٩٦١.

٦٩- القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود القزويني)

ت ٦٨٢هـ - ١٢٣٨م

- أثار البلاد وأخبار العباد

٧٠- ابن القطان: (أبو علي حسين بن علي بن القطان)

ت ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م

- جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكى تطوان المغرب، المطبعة المهدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط سنة ١٩٦٤م.

٧١- القلقشندى: (أبو العباس أحمد)

- صبح الاعشى فى صناعة الإنشا

القاهرة سنة ١٩١٣ الجزء الخامس

٧٢- ابن القوطية: (محمد بن عمرو بن عبد العزيز أبو بكر)

ت ٦٣٧

- تاريخ افتتاح الأندلس

تحقيق عبد الله أنيس الطباع - بيروت سنة ١٩٧٥ وطبعة ريبيرا مدريد سنة

١٨٦٨م

٧٣- ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك

ت ٦٨١هـ - ١٢٨٣م

- تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط (محمد بن علي)

استخرج قسمة الأندلسي أحمد مختار العبادي

(نصان جديان)

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١م

٧٤- الماوردي: (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي)

ت ٤٥٠هـ

- الأحكام السلطانية

القاهرة طبعة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠

مكتبة وطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

٧٥- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهما

E.Lafuente مجريط سنة ١٩٦٧م

٧٦- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد

مطبعة جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨

٧٧- مجهول: مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية

تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، المطبعة الاقتصادية سنة ١٩٤١م

٧٨- مجهول: الطبخ في المغرب والأندلس

- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، تحقيق أمبروزيو أويشي

ميراندا تقديم حسين مؤنس مدريد سنة ١٩٥٥

٧٩- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار انمراكشية

مجهول من أهل القرن الثامن الهجري

- تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة

دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ - سنة

١٩٧٩م

٨٠- مجهول: نخب تاريخية جامعة لأخبار البربر فى القرون الوسطى المعروفة باسم  
مناخر البربر جمعها ونشرها ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٣م

٨١- المجلدى: (أحمد سعيد)

ت ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م

- التيسير فى أحكام التسعير

تحقيق موسى لقبال الجزائر سنة ١٩٧٠م

٨٢- ابن منظور: (جمال الدين محمد بن مكرم أنصارى)

ت ٧١١هـ - ١٣١١م

- لسان العرب

طبعة مصورة عن طبعة بولاق ٢٠ مجلد المؤسسة المصرية العامة للتأليف  
والنشر

٨٣- أبو المحاسن: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى)

ت ٨٧٤هـ - ١٢٥٤م

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦م

٨٤- المراكشى: (عباس بن إبراهيم)

- الأعلام بمن حل مراكشى وأغامت من الأعلام

٨ أجزاء ج ٣ سنة ١٩٦٣م

٨٥- المراكشى: (عبد الله المراكشى)

- الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة

٣ أسفار، السفر الأول تحقيق محمد بن شريفة، والسفران الرابع

والخامس تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة ١٩٦٤ - ١٩٦٥،

السفر الأول بدون تاريخ

٨٦- المراكشى: (عبد الواحد)

ت ٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م

- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان،

القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م

٨٧- المراكشى: (محمد الفتيحي)

- السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، القاهرة،

مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٤١ هـ

٨٨- المقدس: (شمس الدين أبو عبد الله محمد)

ت ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ليدن سنة ١٩٠٦

٨٩- المقرئ: (شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى)

ت ١٤٠١ هـ - ١٦٣٨ م

- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض

تحقيق مصطفى السقا وآخرون

القاهرة سنة ١٣٥٩ هـ - سنة ١٩٤٠ م

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن

الخطيب

تحقيق إحسان عباس ٨ أجزاء

بيروت سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

- تحقيق محيى الدين عبد الحميد ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م

٩٠- المقریزی: (تقی الدین أحمد بن علی)

ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان بولاق سنة ١٢٧٠هـ

٩١- ابن المؤقت: (محمد بن عبد الله)

- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية

جزءان - طبع حجر مراكشي سنة ١٢٣٥هـ

٩٢- الناصري: (أبو العباسي أحمد بن خالد الناصري)

ت ١٣١٥هـ

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدار البيضاء سنة ١٩٥٤م

٩٣- النباهي: (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين)

ت ٧٧٦هـ

- تاريخ قضاة الأندلس، المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا

نشر ليفي بروفنسال ط ١ دار الكاتب المصري سنة ١٩٤٨م

٩٤- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)

ت ٧٣٣هـ

- نهاية الأرب في فنون الأدب

الجزء الرابع والعشرون

تحقيق حسين نصار

المجلس الأعلى للثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب

٩٥- ابن الوردي: (سراج الدين بن حفص بن عمر أبي الفوارس)

ت ٨٦١هـ - ١٤٥٧م

- كتاب خريدة العجائب وفريدة الضرائب نشر ليدن سنة ١٨٢٣هـ -

٩٦- الونشريشى: (أبى العباس أحمد بن يحيى)

ت ٩١٤هـ - ١٠٨٥م

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس ١٢  
جزء مطبعة الشافعة بدون تاريخ، فاس

٩٧- ياقوت: (أبو عبد الله)

ت ٦٢٦هـ

٥ أجزاء طبعة طهران ١٩٦٥

٦ أجزاء طبعة ١٨٦٦ - ١٨٧٣

٨ أجزاء فى أربع مجلدات طبعة القاهرة سنة ١٩٠٦

٩٨- يحيى بن عمر

ت ٢٨٩هـ - ٩٠١م

- أحكام السوق

تحقيق محمود على مكى

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد العدد ٢ مجلد ٤ مدريد سنة

. ١٩٥٦

## ثالثاً: المراجع العربية الحديث:

## ١- إبراهيم حركات:

- المغرب عبر التاريخ ط الدار البيضاء الطبعة الاولى ١٩٦٥م - ١٣٨٤هـ  
طبعة دار السلمى

- النظام السياسى والحربى فى عهد المرابطين، الدار البيضاء، منشورات  
مكتبة الوحدة العربية دون تاريخ

## ٢- أمارى: (مشيل)

- المكتبة العربية الصقلية

- ليسك سنة ١٨٧٥م

## ٣- أمبرسيو هويشى ميراندا

- على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، بحث نشر فى مجلة تطوان  
الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ - ٤، ١٩٥٨ - ١٩٥٩م ص  
١٥٣ - ١٧٦.

- واقعة اقليش ومصراع الأمير شانجة، مجلة تطوان، العدد الثانى سنة  
١٩٥٧م

- المطبخ الأاسبانى خلال العصر الموحدى مجلة معهد الدراسات مدريد  
المجلد الخامس سنة ١٩٥٧.

## ٤- إحسان عباس

- الجانب السياسى من رحلة ابن العربى إلى المشرق، مجلة الأبحاث  
الجامعة الأمريكية بيروت سنة ١٩٦٣م

- الادب الأندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت،  
الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٨م

٥- أحمد مختار العبادي .

- الأعياد في مملكة غرناطة مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد  
المجلد الخامس عشر سنة ١٩٧٠م

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس الإسكندرية طبعة سنة ١٩٦٨م .

- في تاريخ المغرب والأندلس طبعة سنة ١٩٧٨م .

٦- بروفنسال: (ليفى)

- محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها .

٧- توروس بلباس

- الأبنية الأسبانية الإسلامية

- مجلة معهد الدراسات الإسلامية العدد الأول سنة ١٩٥٤م

٨- جمال سرور

- تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف

القرن الخامس الهجرى القاهرة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

٩- جمال محرز:

- الرسوم الجدارية الإسلامية فى البوطل بالحمراء

١٠- جوليان: «شارل أندريه»

- تاريخ أفريقية: ترجمة عوض أباطة سنة ١٩٦٨م

١١- الجيلالى: عبد الرحمن بن محمد:

- تاريخ الجزائر العام جزآن ط ٢ ١٩٦٥م بيروت

١٢- حسن إبراهيم حسن

النظم الإسلامية

١٣- حسن أحمد محمود

- قيام دولة المرابطين مكتبة النهضة سنة ١٩٥٧

١٤- حسن حسنى عبد الوهاب

- وراقات من الحضارة العربية فى أفريقية قسم ٢ تونس ١٩٦٦

١٥- حسن على حسن

- الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين

والموحدين مكتبة الخانكى - مصر سنة ١٩٨٠م

١٦- حسين مؤنس

- الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس مجلة معهد الدراسات الإسلامية

مدريد سنة ١٩٦٧م

- الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين وسقوط سرقسطة فى أيدي

النصارى سنة ٥١٢هـ / ١١٨٨م مع أربع وثائق جديدة مجلة - كلية

الآداب، القاهرة، المجلد ١١ ج٢ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ص ٩١ - ص

١٤٣

- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم فى الأندلس صحيفة

المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد المجلد الأول، العدد الثالث

سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ص ٩٧ - ص ١٤٠.

- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين للموحدين، سنة

٥٢٠هـ - ٥٤٠هـ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد سنة

١٩٥٥ المجلد الأول العدد الثالث.

- تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس كلية الآداب جامعة فؤاد الأول.

- فتح العرب للمغرب

١٧- حكمة على الأوسى -

- الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين مكتبة - الخانكى القاهرة

١٨- رابح بونار

المغرب العربى تاريخ وثقافة - الجزائر سنة ١٩٦٨م

١٩- ذكى محمد حسن: فنون الإسلام، ط (١) سنة ١٩٤٨م النهضة المصرية

٢٠- شكيب أرسلان: الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت ١٣٥٨هـ

منشورات دار مكتبة الحياة، الجزء الثالث

٢١- شوقى أبو خليل

الزلاقة:

دار الفكر، دمشق طبعة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢٢- صبح الصالح

النظم الإسلامية

٢٣- ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظم المالية للدول الإسلامية طبعة سنة ١٩٦١

الأنجلو المصرية

٢٤- عبد الرحمن الحجى

التاريخ الأندلسى، من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ٩٢هـ -

٨٩٧هـ/ ٧١١م - ١٤٩٢م دار القلم، دمشق، بيروت، دار القلم

الكويت، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - سنة ١٩٧٩م

٢٥- عبد الله على علام

- الدعوة الموحدية بالمغرب (القاهرة سنة ١٩٦٤م)

- الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على

مطابع دار المعارف مصر سنة ١٩٧١م

٢٦- عثمان الكعاك

الحضارة المغربية فى حوض البحر المتوسط

٢٧- عز الدين موسى

النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى فى القرن السادس الهجرى دار الشروق سنة ١٩٨٣م

٢٨- على محمد حمودة: تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى، دار الكتاب العربى بمصر طبعة ١ سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، طبعة ١٣٨٠ - ١٩٦١م

٢٩- فيليب خورى حتى: تاريخ العرب المطول، الجزء الثانى الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٥م

٣٠- مبارك الميلى

- تاريخ الجزائر العام فى القديم والحديث ج ٢ مطبعة الجزائر ١٣٥٠هـ

٣١- محمد الفاس

- أصول الاعلام الجغرافية الأندلسية مجلة البيئة عدد يونيو سنة ١٩٦٢م

٣٢- محمد المنونى

- العلوم والآداب والفنون على عصر الموحدين تطوان المطبعة المصرية

١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

٣٣- محمد بحر عبد المجيد

- اليهود فى الأندلس، المكتبة الثقافية عدد ٢٣٧، سنة ١٩٧٠م

٣٤- محمد مجيد السعيد

- الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: منشورات وزارة الثقافة

والإعلام - الجمهورية العراقية.

٣٥- محمد طرطوشة:

- نظرية ابن خلدون في الاقتصاد والقرآن مجلة الفكر (تونس) العدد ١٥

طبعة سنة ١٩٦٧م

٣٦- محمد عبد الله عنان

- دولة الإسلام في الأندلس

- عصر الطوائف

- عصر المرابطين والموحدين

- الآثار الأندلسية الباقية

- نهاية الأندلس

٣٧- محمد عبد الهادي شعيرة

- المرابطون وتاريخهم السياسي ط ١ سنة ١٩٦٩م القاهرة

٣٨- محمد كمال شبانة

- يوسف الأول سلطان غرناطة

٣٩- محمد ولد دادة

- مفهوم الملك في المغرب

- بيروت، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري سنة ١٩٧١م

٤٠- محمود علي مكي

- وثائق تاريخية جديدة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد

٤١- المرير

- الأبحاث السامية ج٢ تطوان سنة ١٩٥٢م

٤٢- مصطفى الشكعة

- الادب الأندلسي

٤٣- مصطفى الهمشري

- الأعمال المصرفية فى الإسلام.

٤٤- مورينو

- الفن الإسلامى فى أسبانيا

٤٥- موسى لقبال

- الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب

٤٦- ناجى معروف

- المدخل فى تاريخ الحضارة العربية الطبعة الأولى بغداد سنة ١٣٧٩م

٤٧- نعمة العزاري:

أبو بكر الزبيدى النحوى وآثاره فى النحو واللغة النجف سنة ١٩٧٥م.

٤٨- يوسف أشباخ

- تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين

- ترجمة محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٩٥٨م

١٣٧٧هـ.

## رابعاً المراجع الأجنبيّة

1. Abbady: (Ahamd Mujtar Al Abbady)
  - El Reino de Granada en la Epóca de Muhammed v (Madrid 1973)
2. Aly Mohamed Fhamy.
  - Muslim sea power in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth century. A.D. 1950.
3. Amariom M.I.: Diplomi arabi del archivio fiorentio, V.I. Firenze, le Monnier, 1863.
4. Bel. A.,: Contribution a l'étude des dirhems de l'époque almohade, d'après un groupe important de ces monnaies récemment découvert `a Tlemcen Hespéris, 1933, Tome XVI, pp 1 - 68.
5. Brelvi: Islam in Africa. Lahor 1964.
6. Budgett-Meakin: The Moorish Empire. London, 1899.
7. Bosch villa, J.: historia de Marruecos los Almoravides, Tetuan, Instituto General Franco, 1956.
8. Codero, F. : Decadencia y Desaparición de los Almor `avides en Espana, Zaragoza, 1899.
9. Dozy, R.: Histoire de musulmanes d'Espagne, 4 x : Leyde, Brill, 1861.
  - Historia Abbadidarum, 2 v., leyde, Brill, 1946.
  - Recherches sur l'hitoire et l'littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, leyde Brill, 1881.
  - Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2, v. Leyde, Brill, 1881.
  - Dictionaire De 'Tailloe' des voms des Vetements chez les Arabesm Amsterdam, 1845.
10. Gayangos "Pascual de Gayangos":
  - The history of the Mohammedan dynasties in Spain.
  - Extracted by Ahamad at Mappari. 2 vols. London 1840 - 1843.

11. Gomez. "G" Elogio del Islam espanol, resala fi Fadl al Andulus.
12. Goitein, :S.D." Jews and Arabs: Their contacts through the Ages, New York, Schocken, 1955.  
- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, Brill, 1968.
13. Heyd (w)  
- Histoire du commerce du Levant au Moyen Age, 2 v., (leipzig, v 1, 1923); v. 2, 188.
14. Hopkins, "J.F.p."  
- Medieval Muslim Government of Barbary until the six century of the Hijra, London 1963.
15. Julien, "A", Histoire de l'Afrique du Nord, paris 1951. (Jusou`a la conquête arabes)  
- 1952 (depuis la conquete arabes)
16. Lafuente: "M"  
- Historia General de Espana. 1899.
17. Lane-poole- "S" The Moonish in Spain, London, (1867)  
- Catalogue of the collections of oriental coins, London, 1897.
18. Lambert: "Elie":  
-: Les mosquées de type andalous en Espagne et en Afrique du Nord, Al-Andalus, vol. XIV: 1949.
19. Laviox (H)  
- Catalogues des monnaies musulmanes de la Bibliotheque Nationale: Espagne et Afrique, Paris 1861.
20. Levi-provençal,  
- La peninsula Iberique du Moyen-Age d'aprez le Kitab Ar-Rawd al Mitar d'Ibn Abd al Munim al Himyari (leiden 1938).  
- le voyage d'Ibn Battuta dans le royaum de Granada (1939),  
Melange offierts a william Marçais. Paris (1950)  
- Inscriptions Arabes d'Espagne, paris (1931)

- 
- L'Espagne Musulmane au xieme Siecle Paris (1951).
  - Una cronica de Abd Al Rohoman III Al Nasir. Madrid Granada 1950.
21. Du Mas-Latri, L., traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen-âge, Paris, 1965.
  22. Massignon, "I" le Maroc dans les premières années du XVI siècle, Alger, 1906.
  23. Melchor, "Antuna, "P"
    - Sevilla y sus monumentos arabes, El-Escorial, 1930.
  24. Miranda "Huici"
    - La invasion de los Almoravides y la batalla de Zallacam (Hespéris 1953).
  25. Pidal (u) The cid and his Spain London 1934.
  26. Prescott: (William H.):
    - History of the reign of Ferdinand and Isabella the Catholic. (London 1895).
  27. Ribera "J"
    - La Musica de las cantigas
  28. Scott, "S.P." History of Moorish Empire.
  29. Simonet: "F." J. Historia de los Mozarabes de España, Madrid, 1903.
    - Description del reino de Granada bajo la dominacion de los Naseritas. "Madrid 1860".
  30. Terrasse (Henri):
    - Histoire du Maroc. Casablanca 1951.
  31. Torres Balbas., "Leopoldo"
    - Arquitectos Andaluces de las épocas Almoravide y Almohade Al-Andalus 1946.
  32. Vives, preioto, La reforma Nummimtica de los Almohades, Madrid 1915.